روايات مصرية للجيب

قضية السجين الهارب

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين

مغامرات عمر وزملائه ٤ × ٢

١٨

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ تداخل فى الهاتف ..

تثاءب (عماد) فى تكاسُل ، وهو يرقُد فى فراشه ، صباحَ يوم الجُمعة ، وقال لشقيقته (عُلا) فى تَرَاخٍ :

ــ عَجَبًا !!.. هل تتصوَّرين أنّنى أصبحت أشعُر بالمَلَل فى أيامِ الإجازات ، لمجرَّد أننا لا نذهب إلى المدرسة ؟

ابتسمتِ ابتسامةً باهتةً ، وغمغمت فى ضَجَر :

ــ وأنا أيضًا .. ومما يُؤسَف له أننا قد أعدْنا قراءة كلّ ما لدينا من قصَصٍ بُوليسيَّة أكثر من مرَّةٍ ، ولا تُوجَد لدينا قصةٌ واحدةٌ جديدةٌ لتمضيَةِ وقْتِ الفراغ .

نهض من فِراشه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ ما زِلْنا نحتفِظ ببعض مَصْروفِنا الشَّهْرِىّ .. ماذا لو ذَهَبْنا إلى المكتبة المجاورة لمنزلنا ، وبحثْنا هناك عن قصة بوليسيَّة جديدة ؟

أومأتْ برأسِها موافقةً ، ونهضَتْ بدَوْرِهَا ، وهى تقول :

ــ كنت أتمَنَّى أن نجدَ قضية جديدة ، فهذا أكثر إثارةً ..

ضحك وهو يقول :

ــ من المُــؤْسِف أن القضايــا لا تأتى وقتما نُرِيدُهــا يا (عُلا) .

لوَّحت بكفِّها فى ملَل ، ثم قالت فى أمَل :

ــ ما رأيُكَ لو اتَّصلْنَا بالأستاذ (عصام) ؟.. ربمَّا كانت لديه قضية جديدة .

هزَّ كتفَيْهِ الصَّغيرين ، قائلًا :

ــ لو أن هذا صحيح ؛ لاتَّصل بنا على الفَوْر .. إنَّه لا يَضْطَلِع بأيَّةِ قَضيَّة وحدَه أبدًا .

زفرت فى ضَجَر ، ثم قالت فى حِدَّة :

ــ دَعْنَا نحاولْ على الأقلّ .

أجابها فى هدوء :

ــ لا بأسَ .. لا ضَيْر من المحاولة .

اتجها أولًا لغسل وجهيْهِمَا ، وألقيَا تحيَّة الصَّباح على والدتِهما ، التى استقْبَلَتْهُمَا باسِمَةً ، وهى تقول فى حَنَان :

ــ صباح الخير يا ولدىَّ .. هل أُعِدُّ لكما طعَامَ الإفطار ؟

أجابتها (عُلا) فى مَرَح :

ــ عاجلًا يا أُمَّاهُ .. إننا نتضوَّر جُوعًا .

ابتسمتِ الأُمُّ ، وهى تقول :

ــ لَحَظَاتٍ وأُعِدُّ لكما طعامًا شهيًّا يا صغيرىَّ .

سألها (عماد) فى لهجة مهذَّبة :

ــ هل تسمحين لنا باستخدام الهاتف يا أُمَّاهُ ؟

أجابته أمُّه فى روتينيَّة ، وهى فى طريقها لإعْدَاد الطعام :

ــ بالطَّبْع يا (عماد) .

أسرعت (عُلا) تلتقِطُ سمَّاعة الهاتف ، وأساريرها تتهلَّل فَرحًا ، ولكنها لم تكدْ تضَعُهَا على أُذنيها حتى سمعتْ صوْتَ رجُلَيْنِ يتحدَّثانِ ، وأيقنَتْ على الفَوْرِ أنه هناك تداخل ما فى خطوط الهاتف ، فهمَّت بإعادة السمَّاعةِ إلى مَوْضعهَا ، لولا أن سمعت أحد الرجليْنِ يقول فى ظَفَر :

ــ إذن فقد نجح الزعيمُ فى الفِرارِ من السِّجْن !

جذبت العبارةُ انتباهَها فى شِدَّة ، وتحفَّزت لها حواسُّهَا كلُّها ، فاحتفَظَت بالسمَّاعة فوق أُذنِهَا ، وعقدت حاجبيها الصغيرين فى اهتمام ، وهى تسمع الآخر يجيبه قائلًا :

ــ نعم .. لقد غادر السِّجْن منذ عشْرِ دقائق بالضبْط ، وهو فى طريقه إلى المخبإ السِّرِّى .

جذبت العبارةُ انتباهها فى شِدَّة ، وتحفزت لها حواسها كلها ، فاحتفظت بالسماعة فوق أذنها ..

هتف الأوَّل فى إعجاب :

ــ يالَهُ من عبقرى !!.. لم أتصوَّر أبدًا أن خُطَّته ستنجح .

أجابه الثانى فى زَهْو :

ــ إنها خطة عبْقريَّة ، مدروسة فى مَهارة وبَراعة ، ولم تكن لتفشل أبدًا .

سأله الأوَّل فى شغف :

ــ وهل سيبقى فى المخبإ حتى تهدأ الأمور ؟

أجابه الثانى فى استكبار :

ــ كلَّا بالطَّبعْ .. لقد أعدَّ كل شىء ليفرَّ خارج البلاد ، قبل كشْفِ هُروبه من السِّجْن .. صدِّقنى ، إنه عَبْقَرِىّ .

عاد الأوَّل يسأل فى شَغف :

ــ ومتى يغادر البلاد ؟.. وإلى أيْن ؟..

صَمَتَ الثانى لحظة ، قبل أن يقول :

ــ إنه يحمل جواز سفر مزوَّر كما تعلم ، وسيغادر البلاد فى تمام السّاعة ...

عادت والدة (عُلا) فى تلك اللحظة ، وأدهشها ذلك الاهتمام المُرْتَسِمُ عَلى وجه ابنتها ، وهى تستمع إلى الهاتف فى صَمْت ، فسألتها فى صوْتٍ مرتفع :

ـ ماذا تفعلين يا (عُلا) ؟

كان من الواضح أن صوتها قد بلغ مَسامِعَ الرجليّن ، فقد بترَ الثانى حديثه فجأةً ، وغمغم فى توتُّر .

ـ مَنْ (عُلا) هذه ؟.. هل هناك أحدٌ إلى جِوَارِك ؟

أجابه الأوَّلُ فى اضطراب :

ـ لا .. إننى وحْدِى .. هناك من يستمع إلى حديثا .

هتف الأوَّل فى انفعال :

ـ إنه المُكالَمةَ على الفوْرِ .. هيَّا .

أغلق كل منهما هاتفه دفعة واحدة ، فهتفت (عُلا) فى حَنَق :

ـ ماذا فعلْتِ يا أُمَّاه ؟

أجابتها والدتها فى صَرَامة :

ـ بل ماذا فعلْتِ أنْتِ ؟

تطلَّع (عماد) إلى شقيقته فى حَيْرَة ، وهى تهتف فى حُزْن :

ـ أُمَّاه .. لقد كنت أستمع إلى حديث رجُلَيْنِ و ....

قاطعتها والدتها فى غَضَب :

ـ لا يصحُّ أن نستمع إلى أحاديث الآخرين الخاصَّة يا (عُلا) .. هذا ينافى قواعدَ الذَّوْقِ واللّياقة والأدَب .

غمغمت (عُلا) فى اعْتِراض :

ـ ولكن يا أُمَّاه ..

عادتِ الأم تقاطعها فى صرامة :

ـ لن نناقش الأمر مرَّةً أُخرَى .

ثم وضعت الطعام الذى أحضرته على المائدة ، وانصرفت إلى حجرتها غاضبة ، فالتفت (عماد) إلى شقيقته ، وهو يقول مُعَاتِبًا :

ـ أُمُّنا على حقٍّ يا (عُلا) .

لوَّحت (عُلا) بذراعها الصغيرة ، وهى تقول فى حزن :

ـ لقد كنت أستمع إلى حوار بالغ الخطورة يا (عماد) .

سألها فى قلق :

ـ أىُّ حوار ؟

قصَّت عليه ما سمعته بالتفصيل ، فهتف فى انفعال :

ـ يا إلهى !!.. إنه أمر بالغ الخطورة حَقًّا يا (عُلا) ، ويحتاج إلى تحرُّك سريع ودقيق .

ثم قفز يلتقط سمّاعة الهاتف ، فسألته (عُلا) فى اهتمام :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابها وهو يبتسم ابتسامةً باهِتة :

ــ سأتّصِل بالأستاذ (عصام) يا (عُلا) .. سنأتى إليه نحن بالقضية هذه المرّة ..

قضية السّجين الهارِب ..

* * *

٢ ــ وبدأت القضية ..

« سجين هارب ؟!! » ..

هتف (عصام) بهذه العبارة بكل ما ملأ نفسه من دهشة ، وتوتّر ، وقلق ، قبل أن يستطرد فى حَيْرة :

ــ ولكن هذا مستحيل تقريبًا .. إن كل سجوننا مُحْكَمَة ، ونُظُم الأمن فيها دقيقة ، لا تسمح بفرار أىّ سجين ، حتى باستخدام فرقة مسلّحة .

أجابه (عماد) فى انفعال :

ــ ولكن هذا ماحدث بالفعل يا أستاذ (عصام) .. لقد تمّ الهروب بالفعل ، وسيغادر السجين الهارب البلاد خلال ساعات ، ولابُدَّ لنا من اتخاذ خطواتنا ، قبل أن ينجح فى مغادرة البلاد .

هزَّ (عصام) رأسه فى حَيْرَة ، ثم تنهَّد ، وعقد حاجبيه ، وهو يسأل (عماد) فى اهتمام :

ــ حسنًا .. إننى أحتاج أوّلًا إلى مزيد من العلومات ..

اسم السجن الذى فرَّ منه ، أو البلد الذى سيذهب إليه .. أو موعد قيام طائرته أو ....

قاطعه (عماد) فى حرج :

ــ إننا لا نملك أيَّة معلومات إضافيَّة يا أستاذ (عصام) .

هتف (عصام) فى استنكار ودهشة :

ــ ماذا ؟!.. إن هذا يشبه البحث عن إبْرة فى كُومَة قشٍّ يا (عماد) ، والوقت الممنوح لا يكفى حتى للعثور على كُومَةِ القشِّ نفسِهَا .

صمت (عماد) طويلًا ، حتى شعر (عصام) بالقلَق ، فسأله فى توتُّر :

ــ (عماد) .. أمازِلْتَ تمسك سمَّاعة الهاتف ؟

أجابه (عماد) فى هدوء :

ــ لحظة يا أستاذ (عصام) .. إننى أفكِّر فى وسيلة لاختصار أسلوب البحث .

وصمت لحظة أخرى ، ثم قال فى توتُّر :

ــ هل لك أن تمنحنا عشْرَ دقائق فقط يا أستاذ (عصام) ، وسأعود للاتصال بك ؟

زفر (عصام) فى ضيق ، ثم غمغم فى استِسْلَام :

ــ لا بأسَ يا (عماد) .. سأنتظر .

ووضع السَّمَّاعة فى حَنَق ، ثم غمغم فى حَيْرة :

ــ سجين هارب ؟!.. يا لها من قضية !!

ثم نهض من مكتبه فى حماسة واتجه إلى رئيس قسم الحوادث ، يسأله فى اهتمام :

ــ كم عدد السجون فى (مصر) ؟

تطلَّع إليه رئيسه فى دهشة ، ثم ضحك وهو يقول :

ــ لماذا ؟.. هل تفكِّر فى قضاء إجازتك الصيفية فى أحدها ؟

أجابه (عصام) فى جدِّيَّة :

ــ لا .. إنه تحقيق جديد .

غمغم رئيسه فى دهشة :

ــ تحقيق جديد ؟!.. أما كان ينبغى أن أعلم به قبل أن تبدأ به ؟

زفر (عصام) فى ضَجَر ، وهو يقول :

ــ إنها مجرَّد فكرة .. والآن كم عدد السجون فى (مصر) ؟

هزَّ رئيسه كتفيه فى حَيْرة ، ثم أجاب فى ضيق :

ــ إنه عدد كبير بالطبع ، فهناك سجون فرعية فى كل المحافظات ، وهناك سجون للرجال وأخرى للنساء و ....

قاطعه (عصام) فى اهتمام :

ــ دعنا نقتصر على سجون الرجال فى (القاهرة الكبرى) وحدَها .

أومأ رئيسه برأسه بلا هدف ، ثم أجابه فى هدوء :

ــ هذا يبدو أكثر بساطة ، فهناك سجن (أبوزعبل) ، وسجن (طرة) ، و (القناطر) .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ هل تظن أنه من الممكن أن يفر سجين من أحدها ؟

ارتفع حاجبا رئيسه فى دهشة ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ لا بالطبع .

زفر (عصام) مرَّة أخرى ، وأدار عينيه إلى هاتفه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ حسنًا .. ليس أمامى إذن سوى الانتظار ..

* * *

غمغمت (عُلا) فى إحباط ، وهى تلوِّح بكفِّها فى يأس :

ــ كيف نجد مزيدًا من المعلومات يا (عماد) ؟.. إننا لا نعرف سوى ما سمعته عن طريق الخطأ .

أجابها (عماد) فى حماس :

ــ إن ما سمعناه يمكن أن يمنحنا بعض المعلومات الإضافيَّة ، لو أننا أعملنا عقلنا بعض الشىء يا (عُلا) .. إننا نبحث عن سجين هارب ، أمكنه الفرار دون أن يَكْشِفَ أحدٌ ذلك ، ويستعد للهروب إلى خارج البلاد ، فما الصفات التى ينبغى أن تتوافر فيه ؟

هزَّت رأسها ، وهى تغمغم فى تفكير :

ــ أن تساوى جريمته المخاطرة بالفرار .. فلو أنه يمضى فى السجن عامًا أو عامين ، ما تجشَّم كل هذا العناء والجهد .

هتف (عماد) :

ــ رائع .. إذن فالسجين الهارب دخل إلى السجن بتهمة خطيرة ، كالقتل أو الاتجار بالمخدِّرات .

قالت فى اهتمام :

ــ أو اختلاس مبالغ ضخمة ، تقدَّر بعدة ملايين .

أجابها بحماسه الزائد :

ــ هذا صحيح .. ولا ريب أنه لم يدخل السجن إلا منذ أقل من عام ، بدليل استمرار علاقته برجاله بنفس القوة .

انتقل حماسه إليها ، وهى تقول :

ــ عظيم .. والآن علينا أن نفكّر فى الوسيلة التى يمكن أن يفرّ بواسطتها ، دون أن يُكشف أمره على الفور .

هتف فى انفعال :

ــ أن يتم استبداله بآخر مؤقّتا .

صاحت فى جَذَل :

ــ بالطبع .. هذه هى الوسيلة الوحيدة .. لقد رأيت قصة مشابهة فى السينما .

تجاهل تعليقها الأخير ، وهو يغمغم فى حماس :

ــ أين يمكن أن يحدث ذلك إذن ؟.. إن الزيارات تتم عادة عَبْر حواجز من الأسلاك ، ومن المستحيل أن يتواطأ أحد حراس السجن مع الهارب .

غمغمت (عُلا) :

ــ لابدَّ أن يلتقى السجين الهارب إذن بالرجل ، الذى سيحل محله ، فى مكان مفتوح .

هتف (عماد) :

ــ وقانونى .

صاحت فى انفعال :

ــ كمستشفى السجن مثلًا .

أجابها فى اهتمام ، وقد بلغ انفعالهما ذِرْوته :

ــ فى هذه الحالة ، لابدَّ أن يكون قد دخل إلى مستشفى السجن منذ يومين أو ثلاثة على الأكثر ، فهو سيفتعل المرض الذى سيدفعهم لنقله إليها ، ولابدَّ له من إتمام عملية هروبه فى سرعة ، قبل كشف تحايله .

هتفت (عُلا) :

ــ (عماد) !!.. لقد حصلنا على الكثير من المعلومات بطريقة مدهشة !

عاد يختطف سمّاعة الهاتف ، ويطلب رقم (عصام) ، وهو يقول فى حماس :

ــ نعم يا (عُلا) ، ومن سوء حظّ هذا السجين الهارب أنه سيواجه فريق (ع × ٢) .

* * *

٣ ـ وتضاءلت كُومة القش ..

استمع (عصام) إلى حديث (عماد) ، عبْر أسلاك الهاتف ، فى اهتمام ، وأخذ يدوّن المعلومات فى ورقة أمامه ، وهو يردّدها خلف (عماد) ، قائلًا :

ــ سجين منذ أقل من عام ، بتهمة خطيرة ، دخل إلى مستشفى السجن منذ يومين ، أو ثلاثة على الأكثر .. هذا عظيم .

ثم هتف بمزيج من الدهشة والحَيْرة :

ــ كيف توصّلتما إلى كل هذا بحقّ الله (سبحانه وتعالى) ؟

أجابه (عماد) فى حَماس :

ــ سنشرح لك كل شىء لاحقًا يا أستاذ (عصام) .. المُهمُّ أن نبدأ خطواتِنا على الفَوْر .

عقد (عصام) حاجبيه ، وصمت لحظة ، قبل أن يقول فى حزم ، وجدّيّة ، واهتمام :

ــ اسمع يا (عماد) .. إن الأمر أخطر مما تتصوّر ، فنحن

نحتاج إلى البحث فى كل مستشفيات السجون فى (القاهرة) ، ومراقبة المطار بميناء (الإسكندرية) ، والعمل بسرعة لن تتوافر لنا .

سأله (عماد) فى قلق :

ــ ماذا تعْنى يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) فى حَزْم وصَرَامة :

ــ أعْنى أننا سنحتاج إلى تدخُّل رجال الشرطة يا فريق (ع × ٢) .. سنحتاج إلى والدكم ، العقيد (خيرى) ..

* * *

كانت استجابة العقيد (خيرى) فوريَّة وسريعة .. فلم يكد يستمع إلى القصَّة من بين شفتى (عصام) ، حتى سأله فى اهتمام :

ــ أهو استنتاج (عماد) و (عُلا) ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، فأسرع العقيد (خيرى) يلتقط سمَّاعة هاتفه الخاص ، ويطلب رقم مصلحة السُّجون ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه حتى قال :

ــ هنا العقيد (خيرى) من المباحث الجنائيَّة .. أريد كشفًا بأسماء كل المساجين ، الذين تم نقلهم إلى المستشفيات

التابعة للسجون ، فى الأيام الثلاثة الماضية ، والذين سجنوا منذ عام على الأكثر ، بتُهم لا تقل عقوبتها عن عشر سنوات .. أُريدُ هذا الكشف فى أقل من نصف الساعة ، كما أريد تصريحًا خاصًا لزيارة هذه المستشفيات ، بالأسماء الآتية : باسمى أنا ، والصحفىّ (عصام كامل) ، والصغيرين (عماد خيرى) و (عُلا خيرى) .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ هل سنصحب (عماد) و (عُلا) ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة ، وهو يضع سمَّاعة الهاتف :

ــ بالطبع .. إن الوقت لا يكفى للعِناد .. لقد بدأت القضية بهما ، وسيواصلانها حتى النهاية ..

* * *

ظَلَّ (عصام) صامتًا طيلة الوقت ، وهو يجلس إلى جوار العقيد (خيرى) فى سيارته ، التى تنهب الطريق نحو سجن (طرة) ، فى حين قال العقيد (خيرى) لولديه (عماد) و (عُلا) ، اللَّذيْن يجلسان فى المقعد الخلفىّ ، فى اهتمام :

ــ لم نجد ما تنطبق عليهم هذه المواصفـــات سوى فى

مستشفى سجن (طرة) يا صغيرىّ .. ومن العجيب أنهم ثلاثة مساجين دفعة واحدة ، فى حين لا يوجد مسجون تنطبق عليه نفس المواصفات فى أى من السجون الأخرى .

هتفت (عُلا) فى حماس :

ــ هذا أفضل يا أبى فهكذا تضيق دائرة البحث ، وتتضاءل كُومَة القَشّ .

سألها والدها فى دهشة :

ــ أيَّة كُومَة قشّ ؟!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ إنها تعنى عملية البحث عن إبْرة فى كُومَة قشّ .

رفع العقيد (خيرى) حاجبيه ، وعاد يخفضهما إعلانًا لتفهُّمه ، ثم قطَّبهما ، وهو يقول :

ــ ومع ذلك فالأمر ليس بالبساطة التى تتصوَّرانها ، فاليوم هو الجمعة ، ومعظم خبراء السجلات والبصمات فى إجازة ، ونحن فى سباق مع الوقت ، فقد نتوصَّل إلى شخصية السجين الهارب ، بعد أن يكون خارج البلاد بالفعل .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ هل حصلت على أسماء السجناء الثلاثة يا أبى ؟

أومأ العفيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، فى حين التقط (عصام) من جيبه ورقة صغيرة ، وقرأ الأسماء المدوَّنة بها ، قائلًا :

ــ الثلاثة هم (عبَّاس متولّى) ، تاجر مخدِّرات ، سيقضى خمسةً وعشرين عامًا خلف القضبان .. و (عامر سليم) ، مدان فى جريمة قتلٍ ، ومحكوم عليه بالسجن خمسة عشر عامًا .. و (عَوَض خلّاف) ، قضية سرقة بالإكراه ، وسيقضى فى السجن أيضًا خمسةَ عشر عامًا .

وتبادل (عماد) و (غُلا) نظرة غامضة ، ثم قالت (غُلا) فى هدوء :

ــ اطمئن يا والدى ، سنحل هذا اللُّغز فى الوقت المناسب بإذن الله .

سألها والدها فى دهشة :

ــ كيف يمكنك أن تكونى واثقة هكذا ؟

عادت تتبادل نفس النظرة الغامضة مع شقيقها ، وأرفقتها بابتسامة هادئة ، وهى تقول :

ــ نوع من التفاؤل يا أبى ، فكل المشتبه فيهم تبدأ أسماؤهم بحرف (العين) .

وأكمل (عماد) مبتسمًا :

ــ ونحن (ع×٢) .

* * *

فى نفس الوقت ، الذى وصلت فيه سيارة العقيد (خيرى) إلى سجن (طرة) ، وفى منزل عادىّ ، فى أكثر أحياء القاهرة ازدحامًا ، وقف رجل يرتدى حُلَّة سوداء أنيقة أمام مرآة فاخرة ، فى حجرة نوم جيِّدة التأثيث ، يعقد رباط عنقه فى اهتمام ، واقترب منه رجل بالغ الطول ، ناوله جواز سفر ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ جواز سفرك أيها الزعيم .

تناول الرجل جواز السفر ، وفتحه ليتأمَّل الصورة ، التى يبدو فيها برأسه الأصلع ، وشاربه الضخم ، وابتسم وهو يقول :

ــ رائع يا (وجدى) .. إنها تشبهنى تمامًا .

ضحك (وجدى) ، وهو يقول :

ــ إنها تشبه هيئتك الحالية أيها الزعيم .

ثم أردف فى إعجاب :

ــ لقد كنتَ بعيد النظر ، حينما قُمْتَ بعمل جواز السَّفر هذا .

ابتسم الزعيم فى فَخْر ، وهو يقول :

ــ لم يكن الأمر بالغ الصعوبة يا (وجدى) ، وأنا من ذلك النوع الذى يتحسَّب لكل الظروف والاحتمالات ،

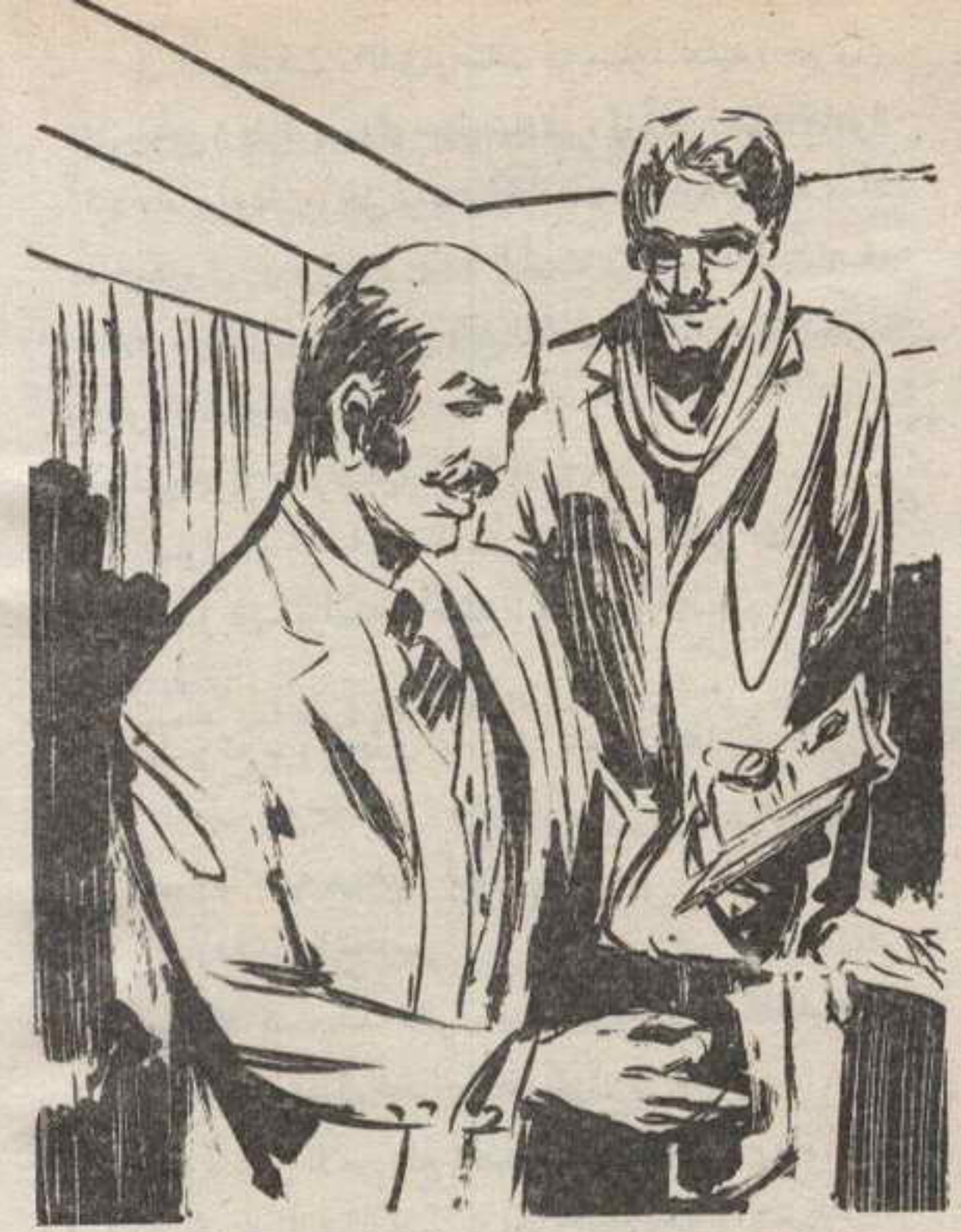

تناول الرجل جواز السفر ، وفتحه ليتأمّل الصورة ، التى يبدو فيها برأسه الأصلع ، وشاربه الضخم ..

والأمر لم يتطلّب سوى بطاقة مزوّرة بإتقان ، ومكتب وهمى للاستيراد والتصدير ، وحلاقة نصف الرأس ، وإضافة شارب ضخم ، وخمس صور فوتوجرافية ، وبعدها أحوز جواز سفر بصفة رجل أعمال ، وباسم مخالف .. جواز سفر رسمىٌ وقانونىٌ .

ضحك (وجدى) ، وهو يكمل فى إعجاب :

ــ ثم الانتظار حتى ينمو الشعر مرّة أخرى ، وتتبدّل هيئتك ، وتحتفظ بجواز السفر للطوارئ... أنت عبقرىّ حقًا أيُها الزعيم .

عاد الزعيم يبتسم فى زهو ، وهو يقول :

ــ كم بقى أمامنا على موعد الطائرة ؟

ناوله (وجدى) تذكرة الطائرة ، وهو يجيبه قائلًا :

ــ ثلاث ساعات أيها الزعيم ، ولكننا سنتجه إلى المطار بعد ساعة واحدة ، فهم يحتّمون إنهاء الإجراءات قبل إقلاع الطائرة بساعة كاملة .

لوّح الزعيم بكفه فى استخفاف ، وهو يقول فى سُخْرِيَة :

ــ فليتّخذوا من الإجراءات ما يحلو لهم .. إنهم لن يكونوا أكثر ذكاءً من رجال السجن ، الذين خدعتهم جميعًا ، وفررت أمام أعينهم .

أومأ (وجدى) برأسه موافقًا ، ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ــ وماذا عن (سليمان) ؟

هزَّ الزعيم كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ــ ستصعب إدانته لو التزم بالخطة ، وحتَّى لو أُدين ، لن تزيد عقوبته على عام أو عامين ، وبعدها سيخرج لينعَم بالعشرة الآلاف من الجنيهات ، التى منحته إيَّاها مقابل دوْره .

وعاد يبتسم فى زهْو ، وهو يُرْدِف :

ــ اطمئنَّ يا (وجدى) .. لقد نجحنا فى خِدَاع الجميع ..

* * *

٤ ــ مستشفى السجن ..

هزَّ الدكتور (صلاح) ، طبيب مستشفى سجن (طِرة) ، رأسه فى ريبة ، وهو يقول :

ــ مستحيل يا سيادة العقيد (خيرى) .. لم تحدث حالة فرار واحدة من مستشفى السجن ، طوال فترة عملى هنا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ هذا يتوقف على من يقوم بالمحاولة يا دكتور (صلاح) .

هزَّ الدكتور (صلاح) كتفيه ، وهو يقول :

ــ ربَّما ، ولكن نُظُمَ الأمن فى المستشفى حازمة ، فالنوافذ كلها مَدْعومة بالقُضبان الفولاذيَّة القويَّة ، حتى نافذة دَوْرة المياه ، وتتم مراجعة أوراق الزائرين بدقة ، قبل دخولهم لزيارة المرضى ، وفى أثناء الزيارة يُغلق باب العنبر ، ويقف أمامه اثنان من الجنود بأسلحتهم ، فى حين يبقى جندى داخله طوال الوقت ، وعند انتهاء الزيارة تتم مراجعة أوراق الزائرين مرَّة أخرى ، وتقارن بالبيانات المدوَّنة عند دخولهم .

غمغمت (عُلا) فى حزم :

ــ ومع ذلك فقد نجح أحد المساجين فى الفرار من مستشفى السجن .

تطلَّع إليها الدكتور (صلاح) فى حَيْرة ، ثم غمغم فى شك :

ــ ربَّما .

قال العقيد (خيرى) :

ــ ما رأيك لو ذهبنا لتفقُّد مستشفى السجن ، ورؤية المشتبه فيهم الثلاثة ؟

هزَّ الدكتور (صلاح) كتفيه ، وهو يقول :

ــ لا بأسَ .. هيَّا بنا .

تبعه الجميع إلى عنبر المَرْضَى ، وسأله (عماد) فى الطريق :

ــ ما الذى يعانيه هؤلاء الثلاثة يا دكتور (صلاح) ؟

أجابه الدكتور (صلاح) فى هدوء :

ــ (عامر) مصاب بمغص كلوىَ حادّ متكرِّر ، وينتابه فجأة بلا مقدِّمات ، وربَّما احتاج إلى جراحة خاصَّة .. أما (عوض) فوجهه مصاب إثر مشاجرة عنيفة داخل السجن

أمس الأوَّل ، وجروحه تحتاج إلى عناية .. و (عبَّاس) يعانى مرض الصَّرَع ، الذى تهاجمه نوباته فى قوَّة ، حتى يسقط فى غيبوبة طويلة .

سألته (عُلا) :

ــ وهل تأكَّدت من إصابتهم بهذه الأمراض بالفعل يا دكتور (صلاح) ؟

أجابها فى أسف :

ــ إننا لا نمتلك هنا الإمكانات اللازمة لإجراء هذه الفحوص بسرعة يا صغيرتى .. فـ (عامر) يحتاج إلى فحص بالأشعة ، و (عبَّاس) يحتاج إلى رسم للمخ ، أما (عوض) فقد اشتركت فى خياطة جروح وجهه بنفسى .

قال عبارته الأخيرة وهو يدفع باب عنبر المرضى ، الذى بدا مكتظًا بالزائرين ، وأشار إلى ثلاثة رجال ، يشغلون الأسرة الثلاثة الأخيرة ، وهو يقول :

ــ هاهم أُولاءَ .. (عامر) و (عوض) و (عبَّاس) .

كان (عامر) يرقد هادئًا ، يتبادل الحديث مع زائر .. و (عوض) يجلس على طرف فراشه ، ونصف وجهه مغطًّى بالضَّمادات ، التى تحجب ملامحه .. أما (عبَّاس) فقد بدا نائمًا ، أو غارقًا فى غيبوبة عميقة ..

وتأمّل (عماد) و (عُلا) العنبر فى اهتمام ..

كان عبارة عن ردهة طويلة ، تراصّت على جانبيها أسرة المرضى ، وتنتهى بباب يقود إلى دورة المياه الخاصّة بالعنبر ، وكان كل زائر يتحدث إلى المريض الذى جاء لزيارته فى اهتمام ، دون أن يلتفت إلى ما يحدث حوله ، حتى لقد خيّل لـ (عماد) و (عُلا) أنه لو ارتكب شخص ما جريمة قتل داخل العنبر ، ما شعر به أحد ..

وقطع تأمّلهما صوت والدهما ، وهو يسألهما فى اهتمام :

ــ هل ترغبان فى استجواب المشتبه فيهم الثلاثة ؟

أجابه (عماد) :

ــ ليس الآن يا أبى .. أحب أوّلًا أن أسأل الدكتور (صلاح) سؤالًا هامًا .

تطلّع إليه الدكتور (صلاح) فى دهشة ، ثم ضحك وهو يقول :

ــ هل الصغير من رجال الشُرطة ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ إنه وشقيقته من أفضل المعاونين لجهاز الشُرطة كله .

هزّ الدكتور (صلاح) كتفيه فى لا مبالاة ، ثم مال نحو (عماد) ، وابتسم وهو يقول :

ــ حسنًا ، ماذا تريد أيها الصغير ؟

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ كيف تعرّفت المرضى الثلاثة ؟

غمغم الدكتور (صلاح) فى دهشة :

ــ ماذا ؟

أسرعت (عُلا) تقول :

ــ شقيقى يقصد أن يسألك ، هل تحفظ وجوههم ؟

ابتسم الدكتور (صلاح) ، وهو يقول :

ــ ليس تمامًا ، ولكننى أحفظ أسرّتهم وأمراضهم .

عاد (عماد) يسأله فى اهتمام :

ــ أيهم يبدو لك متحايلًا ؟.. أو بمعنى أدق .. أيهم يمكن أن يكون متحايلًا ؟

مطّ الدكتور (صلاح) شفتيه ، وهو يقول :

ــ ليس (عوض) بالطبع ، فقد أشرفت على خياطة جروح وجهه بنفسى ــ كما سبق أن أخبرتكم ... ربّما كان (عامر) أو (عبّاس) ، فليس من السهل أن أوقن بأن الأوّل يعانى نوبات المغص الكلوى حقًا ، أو أنه يفتعلها ، وكذلك الثانى ، فمن الممكن أن يتقن أى سجين ذكىّ تمثيل دوْر المصاب بالصَرَع و ....

قاطعه (عصام) فجأة :

ــ خطأ يا دكتور (صلاح) .. هذا بالضبط ما كان يتوقّعه السجين الهارب .

سأله الدكتور (صلاح) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه (عصام) فى حماس :

ــ أعنى أنه إذا كان قد حدث استبدال لأحد المساجين هنا .. فأفضل من يمكن أن يحدث معه هذا هو (عوض) ، فضمادات وجهه تجعل من السهل إخفاء رجل آخر بدلًا منه ، وسأخبركم كيف حدث هذا .. لقد تعمَّد (عوض) أن يتشاجر فى زنزانته أمس الأوَّل ، وتعمَّد أن يصاب بجروح فى وجهه ، حتى ينقل إلى مستشفى السجن .. وعندما جاء الرجل ، الذى سيستبدل مكانه معه هذا الصباح ، كان يحيط وجهه أيضًا ببعض الضمادات ، وفى أثناء الزيارة عمد كل منهما إلى استبدال ثيابه مع الآخر ، ثم غادر (عوض) المكان فى ثياب الزائر ، وأوراقه .

كان صوت (عصام) مرتفعًا ، يموج بالانفعال ، حتى أن جميع من فى العنبر اتجهوا بأبصارهم إليه فى دهشة ، وساد

السكون التام فى المكان ، قبل أن يقفز (عوض) من فراشه هاتفًا :

ــ أى هُرَاء هذا ؟!.. إن هذا لا يصلح إلا لفيلم سينمائىّ .. هأنذا أمامكم .. اكشفوا الضّمادات عن وجهى ، وستجدون أنه هنا ، وليس ذلك الزائر الوهمىّ .

أومأ (عصام) إليه بسبَّابته فى صرامة ، وهو يقول :

ــ سنفعل أيها السجين الزائف .. ثِق أننا سنفعل ، ولن تجد ما تدافع به عن نفسك حينما نكشف أمرك .

استدار (عماد) و (عُلا) كل منهما نحو الآخر فى حركة حادَّة ، وأطلَّ من عيونهما التى تلاقت بريق عجيب ، قبل أن تهتف (عُلا) فى حماس :

ــ يا إلهى !!.. لقد قدتنا إلى الحقيقة دون أن تدرى يا أستاذ (عصام) .

استدار إليها (عصام) فى دهشة ، وشاركه جميع من فى العنبر من مرضى وزائرين دهشته ، فى حين هتف هو فى استنكار :

ــ ماذا تقولين يا (عُلا) ؟.. إننى واثق من استنتاجى هذه المرَّة ..

أومأ (عصام) إليه بسبّابته فى صرامة ، وهو يقول :

ــ سنفعل أيها السجين الزائف ..

هتف به (عماد) :

ــ ولكنه يحوى نقطة ضعف يا أستاذ (عصام) ، وهى تتعلّق بمصير الرجل ، الــذى عاون السجين الهارب على الفرار .. إنه سيحاول تبرير موقفه بالطبع ، بدلاً من أن يضع نفسه لُقمة سائغة فى فم القانون .

صاحت (عُلا) :

ــ وهذا يعنى أن السجين الهارب ليس (عوض) .

وأكمل (عماد) فى حماس :

ــ إنه هذا .

وأشار نحو (عبّاس) ..

* * *

٥ ــ العثور على الإبرة ..

كانت دهشة الجميع عظيمة ، حينما أشار (عماد) إلى رجل غارق فى غيبوبة عميقة ، وهو يتّهمه بالزّيف ، وهتف الدكتور (صلاح) فى استنكار :

ــ مستحيل يا صغيرى .. هذا الرجل مصاب بالصَّرَع و ....

قاطعته (غُلا) فى حزم :

ــ هذا الرجل ليس مصابًا بأيّة أمــراض يا دكتــور (صلاح) ، ولا هو (عبَّاس) ، الذى هرب أيضًا ، إن ما حدث هو خطَّة مُحْكَمَة بارعة .

أكمل (عماد) قائلًا :

ــ سأخبركم بماحدث بالضبط.. لقد افتعل (عبَّاس) إصابته بالصَّرع ، وهو يعلم أن هذا سيقتضى نقله حتمًا إلى مستشفى السِّجن ، حيث برع فى تمثيل نوبات الصَّرَع ، التى يسقط بعدها فى غيبوبة عميقة .. وعندما حان موعد الزيارة هذا

الصباح ، جاء أحد رجال (عبَّاس) لزيارته ، ولاريب أنه يشبهه كثيرًا ، باستثناء شارب ضخم مثلًا ،أو منظار شمسى ، وتصفيف الشعر على نحو مخالف ، أو حتى ارتداء (باروكة شعر) بلون مخالف ، وبعد لحظات من الزيارة تظاهر (عبَّاس) بالضعف وبرغبته فى الذهــاب إلى دورة الميــاه ، وكان من الطبيعى أن يعاونه زائره على الذهاب إليها ، وهناك يستبدل كل منهما ثيابه مع الآخر ، ويخلع الزائر شاربه المستعار ، ليضعه (عبَّاس) تحت أنفه ، ثم يرتدى (باروكة الشعر) ، والمنظار الشمسى ، ويتظاهر الزائر ، الذى سبق أن قلنا إنه يشبه (عبَّاس) كثيرًا بإصابته بنوبة الصَّرَع ، ووقوعه فى غيبوبة ، فينقله (عبَّاس) إلى سريره ، ويغادر المكان فى ثيابه ، وبأوراقه الزائفة ..

وعندما يطمئن هذا السجين الزائف إلى مرور الوقت اللازم ، حتى يصبح زعيمه خارج البلاد ، يتظاهر باستعادته الوعى ، ويقيم الدنيا ويقعدها وهو يدَّعى أن (عبَّاس) قد خدعه ، وأفقده الوعى داخل دورة المياه ، وأنه هو الذى طلب منه الحضور بشارب مستعار ، و (باروكة شعر) ، وأنه قد نفَّذ أوامره دون أن يدرى أنه يحاول الفرار .. ومع ضعف

الأدلّة ، وصعوبة إثبات التواطؤ ، قد يسجن ذلك الزائف عامًا أو عامين على الأكثر ، ولا ريب أنه سيتقاضى بالمقابل مبلغًا لا بأس به .

حدّق الجميع فى وجهى (عماد) و (عُلا) فى ذهول ، ثم اندفع الدكتور (صلاح) نحو الرجل الذى يحتل سرير (عبّاس) ، وتطلّع إلى وجهه فى إمعان ، ثم هتف فى دهشة وغضب :

ــ يا إلهى !!.. هذا صحيح .. هذا الرجل ليس (عبّاس) .

فتح الرجل عينيه فى ذُعر ، حينما أيقن من كشف أمره ، واعتدل جالسًا على فراشه ، وهو يلوّح بكفّيه صائحًا :

ــ لقد كنت مضطرًا .. لقد هدّدنى (عبّاس) بالقتل ، ما لم أفعل ذلك .

أمسك العقيد (خيرى) بتلابيبه فى قوّة ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ أين (عبّاس) ؟.. أين زعيمك أيها الحقير ؟

هتف الرجل فى رُعب :

ــ لست أدرى .. أُقسم لكم أننى لا أدرى شيئًا .. إنه لم يخبرنى بخُطّته كلها .. لقد ذكر لى دَوْرى فحسب .

صاح به العقيد (خيرى) :

ــ أنت كاذب .

هتفت (عُلا) :

ــ بل هو صادق يا والدى ، فلا شك أن الرجل الذى أعدّ خطّة مُحْكَمة كهذه ، لن يترك ثغرة واحدة ، قد تفسد خُطّته ، ولو بمحض الصُّدفة ، ومن الطبيعى ألّا يخبر ذلك المجرم بتفاصيل خُطّته ، خشية كشف أمره قبل الموعد المحدّد .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى سُخْط ، ثم انتزع الرجل من فراشه فى عُنْف ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ولكنك ستصحبنا أيُّها الوَغْد ، وستقصُّ علينا قصة حياتك كلها ، فنحن نحتاج إلى أيّة معلومات ، للعثور على ذلك السجين الهارب ، قبل أن يكمل فراره إلى خارج البلاد .. هيّا .

* * *

تطلّع (عبّاس) إلى ساعته فى قلق ، فابتسم (وجدى) وهو يقول :

ــ اطمئن أيها الزعيم .. سننطلق إلى المطار بعد نصف ساعة فقط .

غمغم (عباس) فى سخط :

ــ إن الوقت يمضى ببطء شديد .

سأله (وجدى) :

ــ هل تحب أن تمضى إلى المطار على الفور ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ ينبغى أن يبدو كل شىء طبيعيًّا .

ثم أردف فى توتُّر :

ــ ولكننى لم أعُد أحتمِلْ هذا المكان .

نهض (وجدى) ، وهو يقول :

ــ هل تحب أن نذهب إلى مكان ما ، حتى يحين موعد الطائرة ؟

زفر (عبَّاس) فى توتُّر ، ثم نهض يتطلَّع إلى وجهه فى المرآة ، وغمغم فى عصبيَّة :

ــ أظن أن أحدًا لن يمكنه تعرُّفى فى هذه الصورة .. أليس كذلك ؟

هتف (وجدى) فى حماس .

ــ مستحيل أيها الزعيم .. إنك تبدو مختلفًا تمامًا .

تطلَّع (عباس) إلى وجهه مرَّة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ــ حسنًا .. هيَّا بنا .. سنذهب إلى المطار مُباشرةً ، وسنقضى بعض الوقت فى مطعم المطار ، حتى يحين موعد الطائرة .

ابتسم (وجدى) ، وهو يقول :

ــ كما تأمر أيُّها الزَّعيم .

ثم أردف فى إعجاب :

ــ أيُّهَا الزَّعيم العبْقَرِىّ !!

* * *

« إنه لم يخبرنى بباقى خُطَّته .. أُقْسِم لكم » ..

نطق السجين الزائف بهذه الكلمات فى صوت مرتجف ، يموج بالرُّعب والجَزَع ، فقال له العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ ألَا تعلم أين سيختفى ؟.. أو أين سيذهب بعد مغادرته البلاد ؟

هتف الرجل فى مرارة :

ــ أُقسم أننى لا أعرف .. إنه شديد الحذر ، ويحتفظ دائمًا بكل أسراره لنفسه .

غمغم (عصام) فى توتُّر :

ـ لا فائدة .. من الواضح أنه يجهل الأمر تمامًا .

غمغم العقيد (خيرى) فى حَنَق :

ـ إننا لن نفقد أثر الإبرة فى كُومَةِ قَشٍّ جديدة ، بعد أن توصَّلنا إلى كلّ هذا يا (عصام) .

قالت (عُلا) فى اهتمام :

ـ أعتقد أن خُطوتنا التالية هى حتمًا الذهاب إلى مطار القاهرة يا أبى .

أجابها والدها :

ـ سنفعل يا (عُلا) ، مالم يكن قد فرَّ بالفعل .

ثم أردف فى اهتمام :

ـ وسيرافقنا إلى هناك المقدَّم (حسام) .

سأله (عماد) :

ـ من هو المقدَّم (حسام) يا أبى ؟

أجابه العقيد (خيرى) :

ـ إنه الرجل الذى أوقع بـ (عباس) يا (عماد) ، وهو الرجل الوحيد الذى يمكنه تعرُّفه ، حتَّى لو عمد إلى التنكُّر .

وتنهَّد فى ضيق ، قبل أنْ يُرْدِف :

ـ وسنحاول العثور على الإبرة مرَّة أخرى ، قبل أن نفقدها إلى الأبد .

* * *

توقَّفت سيارة (عبَّاس) أمام مطار القاهرة ، وغادرها وهو يحمل حقيبة صغيرة ، فى حين لحق به (وجدى) ، بعد أن أوقف السيارة فى مكان الانتظار المخصَّص ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ من حسن الحظ أنَّنا قد انطلقنا مبكِّرًا أيها الزعيم .. إننى لم أتصوَّر أن تكون الشوارع بهذا الازدحام .. لقد استغرقنا ساعة كاملة للوصول إلى هنا .

رمقه (عباس) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ لا تلفظ كلمة (الزَّعيم) هذه مرَّة أخرى .. إنَّنِى ، ومنذ هذه اللحظة ، (شوقى صالح) ، رجل الأعمال . وصاحب مكتب الاستيراد والتصدير .

ابتسم (وجدى) فى خبث ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا (شوقى) بك .

وصمتا لحظة ، ثم عاد (وجدى) يقول :

ـ هل تنوى العودة بعد أن تهدأ الأمور ؟

توقفت سيارة (عبّاس) أمام مطار القاهرة ،
وغادرها وهو يحمل حقيبة صغيرة ..

أجابه (عبّاس) فى هدوء :

ــ ربّما .. ولو حدث ذلك فسأعود بشخصية جديدة .

ثم أردف فى جِدّيّة :

ــ أما أنتم فستواصلون عملكم كالمعتاد ، وعليك أن تحوّل الأرباح إلى حسابى السرّىّ فى (سويسرا) .

غمغم (وجدى) فى هدوء :

ــ سأفعل أيُّهَا الزّعيم .....

وبتر عبارته ؛ ليستدرك فى سرعة :

ــ يا (شوقى) بك .

اتجهها إلى (كافيتريا) المطار ، وتطلّع (عباس) إلى ساعته ، وهو يقول فى قَلَق :

ــ ما زال أمامنا ثلث ساعة كاملة .

ابتسم (وجدى) ، وهو يقول :

ــ لقد نجحت أيها الزعيم .. ولن يُوقفك شىء .

تنهَّد (عبّاس) ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ من يدرى يا (وجدى) ؟. قد يحدث الكثير خلال ثلث ساعة كاملة .. الكثير جدًا .

* * *

٦ ــ إجراءات أمن ..

ضغط العقيد (خيرى) دوّاسة الوقود فى سيارته بكل ما يملك من قوّة ، بعد أن اجتاز إشارة المرور الأخيرة ، فابتسم (عصام) وهو يقول :

ــ احترس يا سيادة العقيد .. إنك تتجاوز السرعات المسموح بها داخل المدن .

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ حاول أن تتجاهل ذلك يا (عصام) .. إن دقيقة واحدة نفقدها قد تكون الفيصل فى نجاح ذلك السجين الهارب أو فشله .

غمغم المقدّم (حسام) :

ــ إن (عبّاس) من أذكى المجرمين الذين قابلتهم فى حياتى يا سيادة العقيد .

هتفت (غلا) فى اعتراض :

ــ لا يوجد مجرم ذكىّ يا سيادة المقدّم .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يوجد أذكياء فى كل المجالات يا صغيرتى .

أجابه (عماد) .

ــ ولكن ذكاء المجرمين هو ذكاء مريض يا سيادة المقدّم ، فلو أنهم أذكياء حقًا ما اتجهوا إلى عالم الجريمة ، ولوجدوا فى الخير مجالًا خصبًا للثّراء الشريف .

أومأ المقدّم (حسّام) برأسه موافقًا ، وهو يقول فى إعجاب :

ــ أنتما على حقّ يا صغيرىّ .

التفت الجميع إلى العقيد (خيرى) ، الذى قال فى انفعال واضح :

ــ فلنؤجّل هذا الحديث الفلسفىّ لما بعد ، فقد وصلنا إلى المطار .

وتنهّد قبل أن يضيف فى توتّر :

ــ وأتعشّم ألّا نكون قد وصلنا بعد فوات الأوان .

* * *

اتجه (عبّاس) إلى (صالة) الإجراءات فى المطار ، وبدا

هادئًا مبتسمًا ، وهو ينهى إجراءاته كلها فى ثقة ، وترك ضابط الأمن يفحص جواز سفره فى إمعان ، ثم تسلَّمه منه بابتسامة وَدُود ، واتجه إلى مقعد جانبى ، ينتظر موعد إقلاع الطائرة ..

لقد تمت الخطوات كلها فى نجاح ، ولن تمضىَ إلَّا بضع ساعات حتى يصبح هناك ، فى (سويسرا) ، حيث يملك عدة ملايين فى أحد بنوكها ، ربحها من تجارة السُّموم المخدِّرة ، وهناك سيحيا حياة أصحاب الملايين ، باسم (شوقى صالح) ..

ولن يعود إلى (مصر) أبدًا ..

إنه رجل حَذِر ..

حَذِر للغاية ..

والعودة إلى (مصر) تعنى التعرُّض للخطر ، وهو يرفض ذلك ..

وقطع أفكاره وتأمُّلاته صوت المضيفة الأرضية ، وهى تقول فى صوت مرِح :

ــ على ركاب طائرة (سويس إير) المتجهة إلى (سويسرا) ، التوجُّه إلى بوَّابة المطار رقم (ثلاثة) .. على ركاب طائرة ....

اتسعت ابتسامة (عبَّاس) ، وهو يستمع إلى المضيفة التى

تكرِّر نداءها بكل اللغات الحيَّة ، ونهض فى هدوء ، وحمل حقيبته الصغيرة ، واتَّجه إلى البوَّابة رقم (ثلاثة) ، وهو يهنِّئ نفسه على نجاح خُطَّته ..

وعلى حُرِّيَّته التى لا يستحقُّها ..

* * *

توقَّفت سيارة العقيد (خيرى) فى المكان المخصَّص لانتظار السيارات ، فى ساحة مطار القاهرة الدولى ، وهبط منها الجميع فى سرعة ، واتجهوا شَطْرَ بوَّابة المطار الخارجية .. وقبل أن يصلوا إليها ، تعلَّق بصر المقدَّم (حسام) برجل يستعد لركوب سيارة سوداء أنيقة ، فهتف فجأة :

ــ إنه (وجدى) .. الساعد الأيمن لـ (عبَّاس) .

التفت (وجدى) إلى مصدر الصيحة فى ذُعر ، ثم قفز داخل سيارته ، وحاول إدارة محرِّكها فى سرعة وتوتُّر ، فى حين اندفع (حسام) و (عصام) نحوه فى آن واحد ، ودفع العقيد (خيرى) ولديه داخل المطار ، وهو يقول فى حزم :

ــ سنترك لهما مهمَّة الإيقاع به ولْتتمَّ نحن مُهمَّتنا .

أدار (وجدى) محرِّك سيارته ، واندفع بها إلى الخلف ، محاولًا الخروج من مكان الانتظار ، فى نفس اللحظة التى وصل

فيها (عصام) و (حسام) إليـــه ، وحـــاول (حسام) اعتراض السيارة من الخلف ، فأخرج مسدّسه ، وصاح وهو يصوّبه إلى زجاج السيارة الخلفى :

ـــ توقّف يا (وجدى) .. أو أطلق النار عليك .

كان ردّ فعل (وجدى) هو أن زاد من سرعة سيارته فجأة ، ليرتطم بالمقدّم (حسام) فى قوّة ، فى حين أطلق (حسام) رصاصته قبل أن يسقط ، واخترقت الرصاصة زجاج السيارة الخلفى ، وهشّمته تمامًا ..

وركض (عصام) بكل ما يملك من قوّة ، محاولًا اعتراض السيارة ، التى اندفعت إلى الأمام ، و (وجدى) يدير عجلة القيادة فى سرعة وتوتُّر ، محاولًا النفاذ عَبْر الممرّات ، التى صنعتها صفوف السيّارات التى تنتظر فى السّاحة ..

وبتقدير سريع للموقف ، انطلق (عصام) يَعْبُرُ صفوف السيّارات ، ويقفِزُ فوْقَها ، ويَمْرُقُ بينها فى سرعة ، محاولًا الوُصول إلى نقطة تضعه فى طريق سيّارة (وجدى) ، حتى وصل إلى تلك النقطة التى يبغيها ، ورأى سيّارة (وجدى) تندفع نحوه فى سرعة :

وأدرك (عصام) فجأة تلك الحقيقة ، التى غابت عن ذهنه فى غمْرَة حماسه ..

أدرك أن (وجدى) لن يتردَّد فى قتْله ..

لن يتردَّد أبدًا ..

* * *

استمع مدير أمن المطار إلى القصّة ، التى رواها العقيد (خيرى) فى سرعة وإيجاز ، ثم هتف فى دهشة :

ـــ من المستحيل أن يغادر أحد مطار القاهرة بجواز سفر مزوَّر يا سيادة العقيد .. إننا نمتلك هنا أجهزة حديثة ، يمكنها كشف أى تزوير فى جوازات السفر .

أجابه العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ـــ ربما سيحاول السفر بجواز سفره الحقيقى ، فاسمه لم يُدرج فى قوائم الممنوعين من السفر ، نظرًا لإلقاء القبض عليه ، وإيداعه السجن .

سأله مدير الأمن فى اهتمام :

ـــ يمكننا أن نتأكد من ذلك .. ما اسمه بالكامل ؟

أجابه العقيد (خيرى) ، وهو يتلفَّت حوله ، وكأنما يتوقَّع أن تقع عيناه على بغيته :

ـــ (عبّاس متولى) .

ضغط مدير الأمن أزرار جهاز كمبيوتر شخصىّ موضوع

أمامه ، وأخذ يقرأ الأسماء التى ظهرت على شاشته فى وضوح ، ثم هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ لا يوجد أى مسافر يحمل هذا الاسم اليوم .

غمغمت (عُلا) :

ــ ربَّما لم يصل إلى المطار بعد .

وأكمل (عماد) :

ــ وربَّما سيسافر باسم مستعار .

تنهَّد العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ أظن أنها سنضطر لفحص كل المسافرين المصريين اليوم يا صغيرىَّ .

وتنهَّد مرَّة أخرى ، قبل أن يردف فى سخط :

ــ وهذا يبدو أقرب إلى الفشل ، منه إلى النجاح .

* * *

٧ ــ المجـرم ..

تردَّد (عصام) طويلًا قبل أن يكتب ما حدث ، فى التحقيق الذى أعدَّه للنشر بعد ذلك ، فلقد خشى ألَّا يصدِّق القُراء قصته ، حينما يذكر لهم كيف نجا من محاولة (وجدى) لقتله ..

حتى هو لم يصدِّق ما حدث إلَّا بعد فترة طويلة ، فهو لم يتصوَّر فى نفسه أبدًا تلك القدرة على التحكُّم فى أعصابه ، والتصرُّف فى جُرأة ، ومواجهة الخطر على هذا النحو ..

إنه لم يشعر بالخوف حينما رأى السَّيَّارة تندفع نحوه فى سرعة ..

كل ما شعر به هو ضرورة التصرُّف بحِكْمة وسُرْعة ، قبل أن يَلْقَى مَصْرَعه تحت عجلات سيَّارة (وجدى) ..

وبحركة سريعة ، رفع آلة التصوير فى وجه السَّيَّارة ، وأطلق مصباحها ذا الضوء المُبْهِر ..

وغشىَ الضوء عينى (وجدى) لحظة ، وعجز عن الرُّؤية ، إلَّا أنَّ هذا لم يمنعه من ضغط دوَّاسة الوقود فى سيارته بقوة ، لتَزِيدَ اندفاعَها نحو (عصام) ..

قفز فجأة من أمام السيارة ، ليعتلى مقدمتها ، قبل أن يندفع على الرغم منه إلى زجاجها الأمامى ويخترقه فى قوة ..

والذى حدث بعد ذلك .. والذى عجز (عصام) عن تصديقه هو أنه قفز فجأة من أمام السَّيَّارة ، ليعتلىَ مقدمتها ، قبل أن يندفع على الرغم منه إلى زجاجها الأمامى ، ويخترقه فى قوَّة ، مهشِّمًا إيَّاه ، ومرتطمًا بـ (وجدى) ، ومستقرًّا فوقه على المقعد الأماميّ ..

وفقد (وجدى) سيطرته على عجلة القيادة ، وانحرف بها فى قوَّة وعُنف ، ليرتطم بإحدى السَّيَّارات المتوقفة ، وتوقَّفت سيَّارته بدوْرِها ..

وفى غضب وسخط ، استلَّ (وجدى) مديته ، وهو يصرخ :

ــ سأقتلك .. سأنتزع أحشاءك .

وهوى بمُديته على قلب (عصام) ، إلَّا أن هذا الأخير أمسك معصمه فى قوَّة ، ولكمه فى فكِّه لكمة أوْدعها كل قُواه ، وهو يقول :

ــ ألا تكفيك جرائمك أيها الوغد .

تأوَّه (وجدى) فى ألم ، وشعر بمذاق الدَّمِ فى فمِه ، فصاح فى ثوْرة :

ــ لقد حطَّمْت أسنانى .. لقد حطَّمْتَ أسنانى .

عاجله (عصام) بلكمة أخرى فى معدته ، وثالثة على أنفه ، ثم تسمَّرت قبضته فى الهواء ، حينما سمع صوتًا صارمًا يقول :

ــ قِف أو أطلق النار .

رفع (عصام) عينيه ، ورأى أحد ضباط أمن المطار يصوِّب إليه مسدَّسه ، فتنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ لا بأس يا صديقى .. إنها أجمل عبارة سمعتها فى حياتى .

* * *

« شركة الطيران (سويس إير) ترحب بكم فى رحلتها رقم (تسعمائة وسبعة) ، المتجهة إلى (سويسرا) ، إننا نستعد للإقلاع بعد خمس عشرة دقيقة ، والرجاء ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين ، ونتمنَّى لكم رحلة سعيدة » ..

ابتسم (عبَّاس) فى ارتياح ، وهو يسمع هذا النداء ، وأحكم ربط حزام مقعده حول وسطه ، ثم استرخى فى المقعد ، وهو يحلُم بالحياة الرغدة ، التى تنتظره فى (سويسْرا) ، وبملايينه التى يعمل على تهريبها إلى هناك منذُ سنَوات ..

كان كل شىء يُوحى بأن خُطَّته قد نجحت ، وأن فراره قد بات مؤكَّدًا ..

خمس عشرة دقيقة فقط ، وتبدأ رحلته إلى الحرِّيَّة والأمَان ..

لقد انتصر ..

لا ريبَ أنه قد فَعَل ..

* * *

تحرَّك العقيد (خيرى) فى توتُّر ، داخل حجرة الأمن بالمطار ، ثم التفت بحركة حادَّة إلى (وجدى) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ مقاومة رجال الشُّرطة ، وإصابة المقدَّم (حسام) بكسر فى ساقيه ، ونزيف داخلى خطير ، ومعاونة سجين هارب على الفرار .. إن التهم الموجَّهة إليك تكفى لوضعك خلف القضبان حتى نهاية عمرك أيُّهَا الوَغْد .

غمغم (وجدى) فى حِدَّة :

ــ إنه لم يعلن أنه رجل شرطة .. ولقد رأيت رجلًا يصوِّب مسدَّسه إلىَّ ، وكان من حقِّى أن أدافع عن نفسى ، ثم إننى لا أدرى عن أى سجين هارب تتحدَّثون !

أجابه (عصام) فى عصبيَّة :

ــ عن (عبَّاس متولى) .. هل تعرفه ؟

رمقه (وجدى) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ إنها أوّل مرة أسمع فيها هذا الاسم .

اتجه إليه العقيد (خيرى) ، ومال نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عجبًا !! .. إن ملفَّك لدينا يقول إنك ساعده الأيمن .

غمغم (وجدى) فى برود :

ـ ربّما .. لست أدرى كيف تتم تحرّياتكُم .

جذبه العقيد (خيرى) من سترته فى صرامة ، وهو يقول فى حِدَّة وغضب :

ـ اسمع أيُّها الوغد .. ستخبرنى على أيَّة طائرة يسافر زعيمك ، أو أجعلك تلعن اليوم الذى ولدت فيه .

هتف (وجدى) فى حِدَّة :

ـ ليس من حقّك أن تؤذينى بدنيًا .. سأتقدّم بشكوى .

دفعه العقيد (خيرى) فى غضب ، وهو يقول فى حدَّة :

ـ إننا لن نفشل بعد أن بلغنا هذا الحدّ .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة قلِقة ، ثم التفتت (عُلا) إلى مدير أمن المطار ، تسأله فى اهتمام :

ـ إلى أين تتجه الطائرة التى ستقلع خلال الساعة القادمة يا سيّدى ؟

غمغم الرجل فى هدوء :

ـ سنرى .

وضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وتطلّع إلى ما ارتسم على شاشته ، ثم قال :

ـ هناك طائرة مصر للطيران . المسافرة إلى (فرنسا) .. وطائرة الخطوط السعودية ، المنطلقة إلى (جدّة) .. وطائرة (سويس إير) فى رحلتها إلى (سويسرا) .

انبرى (عماد) ، قائلًا :

ـ من المؤكّد أن (عبّاس) سيسافر على واحدة من هذه الطائرات الثلاث .. فلو أن طائرة قد انطلقت ، ما أصرّ (وجدى) هذا الإصرار بهذه الصرامة .. وما دام (عبّاس) ينوى الفرار إلى الخارج ، فلا شك أنه يحتفظ بمبلغ كبير فى الدولة التى سيسافر إليها .. فأى هذه البلدان تصلح لهذا الغرض ؟

التقت نظرات (عصام) و (خيرى) و مدير أمن المطار ، وهتف الثلاثة فى آن واحد :

ـ (سويسرا) .

ثم أردف مدير الأمن فى انفعال :

ـ ستقلع طائرة (سويس إير) بعد عشر دقائق فقط .

سأله العقيد (خيرى) فى توتر :

ـ هل يمكن تأجيل موعد إقلاعها ؟

تردَّد مدير الأمن لحظة ، ثم غمغم فى حزم :

ـ سأبذل أقصى استطاعتى .

وتناول سمَّاعة هاتفه الخاص ، فأسرع العقيد (خيرى) يقول فى لهفة :

ـ أريد سيَّارة خاصة تقلّنا إلى الطائرة على الفَوْر .

أشار مدير الأمن إلى أحد ضباطه ، فتحرَّك بسرعة ، وهو يقول :

ـ اتبعونى ..

أسرع العقيد (خيرى) ، و (عصام) ، و (عماد) ، و (عُلا) خلف ضابط الأمن ، فى حين اتسعت عينا (وجدى) ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ كيف فعل الصغيران ذلك ؟

ابتسم مدير الأمن ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كثيرًا ما يضع الله (سبحانه وتعالى) أعظم أسراره ، فى أضعف خلقه .

ثم اتجه بحواسّه كلها إلى الهاتف ، وهو يقول لبرج المراقبة :

ـ أنا العقيد (سليمان) ، مدير أمن المطار .. أريد تعطيل إقلاع طائرة (سويس إير) بأى ثمن .. نعم .. إنه أمر يتعلَّق بالأمن .

* * *

استرخى (عبَّاس) فى مقعده ، وشعر برغبة شديدة فى تدخين إحدى سجائره ، وتطلَّع إلى ساعته ، ثم تنهَّد فى ارتياح ، فلم يَعُد باقيًا على موعد الإقلاع سوى أربع دقائق .. أربع دقائق فقط وتبدأ رحلته إلى الحرِّيَّة ..

وفجأة .. ارتفع صوت قائد الطائرة ، وهو يقول فى لهجة اعتذار :

ـ يؤسف شركة (سويس إير) ، أن تعلن أن رحلتها رقم (تسعمائة وسبعة) ، سيتأخَّر إقلاعها لعشر دقائق ، لأسباب خارجة عن إرادة الشركة ، وتبعًا لطلب إدارة أمن مطار القاهرة الدَّوْلىّ .. نعتذر عن هذا التأخير ، ومرَّة أخرى نتمنَّى لكم رحلة سعيدة .

سرَت همهمة غاضبة بين ركاب الطائرة ، وارتجف جسد (عبَّاس) فى قوَّة وجزع وتوتُّر ، وتساءل فى أعماقه ..

هل كشفوا أمره ؟!..

هل فشلت خُطَّته فى اللحظات الأخيرة ؟..

تضاعف توتُّره وقلقه ، وهو يحاول التفكير فى سرّ تأخير إقلاع الطائرة ، ثم نهض يلتقط حقيبته الصغيرة ، وفتحها ، ومزّق بطانتها فى حركة حادّة أدهشت الراكب الذى يجاوره ، والتقط من جزء خفىّ فيها مُدية ، أخفاها عن جاره فى راحته ، واحتفظ بها فى توتّر ..

لقد قرّر أن يقاتل بلا رحمة ، حتى لا يعود إلى سجنه أبدًا ..

سيقتل من يعترض طريقه بلا تردُّد ..

* * *

٨ ــ روح اليأس ..

صعد (عماد) و (عُلا) ، ووالدهما ، و (عصام) سُلَّمَ الطائرة فى عجلة ، وسألهما قائدها فى ضيق ، وهما يدلفان إليها :

ــ هل يمكننى أن أفهم سر هذا التأخير المتعمَّد ، الذى لم يحدث أبدًا من قبل ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ هناك مجرم هارب بين ركّاب الطائرة .

رفع قائد الطائرة حاجبيه فى دهشة ، وهو يردِّد :

ــ مجرم هارب ؟!

لم يجبه أحد هذه المرَّة ، فقد اندفع الأربعة عَبْرَ ممرّ الطائرة ، وهم يتطلَّعون إلى وجوه الركاب فى إمْعان ، وانتاب القلق والخوف ركّاب الطائرة ، الذين امتقعت وجوههم ، ودار بخلَدِهم أنَّ أحد الإرهابيين قد وضع قنبلة فى الطائرة ، وغمغم العقيد (خيرى) فى ضيق :

ــ لو أن (حسام) هنا لكشف أمر ذلك الوغد على الفَوْر .

شحذت كلمات العقيد (خيرى) انتباه (عبّاس) إلى أقصى حَدٍّ ، فقد كانت تعلن فى وُضوح أنهم لم يتعرّفوه بعد ..

ثم توقّف وسط الممرّ ، قائلًا :

ــ هل يسمح الرُّكّاب المصريُّون بالوقوف ؟

تردّد (عبّاس) ، وهو يرى كلَّ الرُّكّاب المِصريّين يقفون فى حَيْرَة ، وجال بخاطره أن يظلَّ جالسًا ، متجاهلًا النداء ، إلّا أنه خشىَ أن يكون مع العقيد (خيرى) كشف بأسماء الرُّكّاب المِصريّين على متن الطائرة ، فيكشف عدم وقوفه زيْفَه ، فنهض واقفًا معهم ، وارتبك لحظة عندما دار العقيد (خيرى) بعينيه فى وجوه الجميع ، ثم قال فى حزم :

ــ إننا نبحث عن رجل هارب ، وهو يعلم أننا هنا من أجله ، وهذا الرجل يسافر على الطائرة بجواز سفر حقيقى ، ولكن باسم مختلف ، وأنا أطالبه بأن يتقدّم ويسلّم نفسه ، حتى لا تبلغ عقوبته أقصاها عندما نلقى القبض عليه .

شحذت كلمات العقيد (خيرى) انتباه (عبّاس) إلى أقصى حَدٍّ ، فقد كانت تعلن فى وُضوح أنّهم لم يتعرّفوه بعد ، وأنعشَ هذا الأمل قلْبه ، فاعتدل فى وقفته ، وابتسم فى ثِقَة ، فى حين تبادل باقى الرُّكّاب نظرات القلق والتوتُّر ..

وفجأة .. قالت (عُلا) فى انفعال :

ــ هناك وسيلة أُخرى لكشف أمره يا أبى .

وأكمل (عماد) فى حماس :

ــ لا ريبَ أنه سيحاول تبديل ملامحه ، ومادام هو فى الحقيقة حليقًا ، أسود الشعر ، فهو إما أن يصبغ شعره ، أو يضيف إلى وجهه شاربًا مستعارًا أو كليهما ، ومن الصعب كشف الشعر المصبوغ فى هذا الوقت القصير ، الذى يمر قبل إقلاع الطائرة .. أما الشارب المستعار فأمره يختلف ، إذ يمكن نزعه بجذبة قويَّة و ....

انتفض جسد (عبَّاس) فى قوَّة ، وتطلَّع إلى (عماد) فى كراهية وسخط ، وانتابته روح اليأس ، فاستل مُديته فى حركة سريعة ، وقفز نحو (عماد) ، وحمله فى سرعة ، ووضع مُديَته على رقبته ، وهو يصرخ فى توتُّر وعصبيَّة بالغيْن :

ــ سأقطع عنق الصغير لو تحرَّك أحدكم خطوة واحدة .. نعم .. إننى أنا الرجل الذى تبحثون عنه .. أنا (عبَّاس متولى) ..

* * *

انطلقت صرخات الرُّكَّاب ذُعْرًا ، أمام ذلك المشهد المخيف ، وتحفَّزت عضلات العقيد (خيرى) فى توتُّر ، وشهقت (عُلا) فى فَزَع ، فى حين هتف (عصام) فى صرامة :

ــ اتركه أيُّها المجرم .. وإلَّا ....

قاطعه (عبَّاس) فى حِدَّة ساخِرَة :

ــ وإلَّا ماذا ؟.. إن إضافة عقوبة الفرار من السجن إلى عقوبتى ، يعنى أن أقضى حياتى كلَّها فى السجن ، خلف تلك القُضبَان اللعينة ، وأنا أُفضِّل الإعدام ..

قال العقيد (خيرى) فى حَزْم :

ــ استسلامك سيخفِّف من عقوبتك كثيرًا .

أطلق (عبَّاس) ضحكة عصبيَّة ساخرة ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ عقوبتى ؟. يا لَسعادتى !!.. هل يعنى هذا أن أقضى فى السجن ربع قرن فقط من الزمان ؟

ثم أردف فى وحشيَّة :

ــ كلَّا .. إننى أرفض ذلك .

وتراجع فى حَذَر ، وهو يستطرد فى شَرَاسَة :

ــ قلت لكم ابتعدوا ، وإلَّا ذبحت الصَّبِىَّ .

سيطر جوٌّ من الوُجوم والتوتُّر على الجميع ، وغمغم العقيد (خيرى) فى عصبيَّة :

ــ ماذا تريد بالضبط يا (عبَّاس) ؟

هتف (عباس) فى حِدَّة :

ـ أُريد أن تقلع الطائرة ، وسأسلّمهم الصبىَّ فى (سِويسْرا) .

تدخّل (عصام) قائلًا فى حِدَّة :

ـ وهل تظن أن (سِويسْرا) ستمنحك حقَّ الإقامة فيها ، بعد أن تصل إليها على هذا النحو ؟

لهث (عبَّاس) من فَرْط الانفعال ، وهو يهتف :

ـ سأطلب حقَّ اللُّجوء السياسىّ ، وسيبرِّر هذا موقفى .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ (سويسْرا) دولةٌ محايِدَة ، وهى لا تمنح اللُّجوء السياسىَّ إلى أحِدٍ .

دارت عينا (عبَّاس) فى محجريهما ، وظهرت الحَيْرة واضحة على ملامحه ، وهو يبحث عن حلٍّ آخر ، ثم لم يلبث أن هتف فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة أريد سيَّارة ، ووعد بعدم مطاردتى ، وإلَّا ذبَحْت الصبىّ .

سأله العقيد (خيرى) فى حِدَّة :

ـ وإلى أين تنوى أن تذهب ؟

هتف (عبَّاس) فى ثَوْرة :

ـ هذا شأنى .

أمسك (عصام) ذراع العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ إنه رجل يائس يا سيادة العقيد ، ويأسه هذا قد يدفعه إلى إتيان أى عمل ، مهما بلغت حماقته .

تردَّد العقيد (خيرى) لحظة ، وقلبه يرتجف خوفًا على ولده ، ثم لم يلبث أن أيقن من صحة قول (عصام) ، فحدَّق فى وجه (عبَّاس) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ حَسَنًا يا (عبَّاس) .. سنمنحك السَّيَّارة ، ولكن حِذارِ أنْ تمسَّ ولَدِى بسُوء ، فلو أنك فعلت ....

صمت لحظة ، ثم امتلأ صوته بكراهِيَة وصَرَاسة لا حدَّ لهما ، وهو يُرْدِف :

ـ سأقْتُلك .. سأقْتُلك بلا رَحْمة ..

* * *

٩ ــ الهــروب ..

ضغط مدير أمن المطار أسنانه فى سُخْط ، وهو يقف عاجزًا أمام (عبَّاس) ، الذى تراجع بظهره نحو السَّيَّارة ، التى أحضرها له رجال الشُّرطة ، وهو يضع نصل خِنْجَره على عُنُق (عماد) ، وغمغم المدير فى حَنَق :

ــ كم أتمنَّى أنْ أُطْلِق النار على رأس هذا الوغد .

غمغم العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ إننى أتمنَّى ذلك أيضًا ، ولكننى أخشى أنْ أُصيبَ (عماد) .

هتف مدير الأمن فى غضب :

ــ وهل سنتركه يفرُّ أمام أعيُنِنَا هكذا ؟

غمغم العقيد (خيرى) فى حَنَق :

ــ لن يُفْلِتَ هذا الوغد مِنَّا أبدًا .

وقف (عبَّاس) إلى جوار السَّيَّارة ، وقال فى خُشونة :

ــ أريدُ مسدَّسًا .

التفت رجال الأمن إلى مديرهم فى تساؤل ، فغمغم فى سُخْط :

ــ امنحوه إيَّاه .

ألقى إليه أحد ضباط الأمن مسدَّسه ، فالتقطه فى مهارة ، وزَمْجَر فى قَسْوَة :

ــ أريد زوجًا من الأغلال الحديديَّة .

أعطاه رجال الأمن ما طلب ، فدفع (عماد) داخل السَّيَّارة ، وهوَ يقول فى صَرَامة :

ــ ضع هذه الأغلال حوْلَ معصميك ، ومرِّر سلسلتها من ذلك التجويف فى مِقْبض الباب .

فعل (عماد) ما أمره به الرجل فى استسلام ، فقفز (عبَّاس) خلف عجلة القيادة ، وهو يقول فى عصبية :

ــ أفْسِحُوا الطَّريق .

تلفَّت العقيد (خيرى) حوْلَه فى قَلَق ، حينما بدأت السَّيَّارة مَسيرتها ، وسأل (عُلا) :

ــ أيْنَ (عصام) ؟

أجابته فى مَرَارَة :

ــ لستُ أدْرِى .. لقد اختفَى منذُ لَحَظَات .

هتف فى جَزَع :

ــ هل ينوى مُطاردةَ ذلك الوَغْد ؟

أجابته (عُلا) فى غضب :

ــ ثِق أنه سيفعل يا أبى .. إنه لن يترك (عماد) يواجه هذا الخطَر وحدَه أبدًا .

ثم أردفت فى اعتزاز وصرامة :

ــ إن الأستاذ (عصام) هو أحد المستحيلات الثلاثة يا أبى .. إنه الخِلّ الوفِىّ .

* * *

كانت قواعد الأمن تقتضى إطاعة المجرم ، تحيُّنًا للَحظة المناسبة للانقضاض عليه ، مادام يحتفظ برهينة ، ومادام يمرُّ بحالة يَأس عنيفة ، تجعله لا يتورَّع عن قتْل رهينته ..

هذا ما يعرفه رجال الأمْن ، وما يلتزمون به تمامًا ..

أما (عصام) ، فقد كان له قانونه الخاص..

وقانونه هذا يتلخَّص فى جملة واحدة ، ومبدإ واحد...

ألَّا يتخلَّى أبدًا عَنْ صديق ..

وهذا ما فعله بالضَّبْط .

فى الوقت الذى كان فيه (عبَّاس) يتَّجه إلى السَّيَّارة ، وهو يضع نصْلَ مُدْيَتِه على عُنُق (عماد)، كان (عصام) يبحث بيْن صفوف السَّيَّارات عن درَّاجة بخاريَّة ، وهو يلعن جهله لقيادة السَّيَّارات .. ولقد عثر على بغيته ، فأخرج أحد أفلام التصوير من جعبته ، وانتزع الغلاف المصنوع من الألومنيوم ، الذى يحيط به ، وطواه حتى صار صُلْبًا رفيعًا ، ثم دسَّه فى ثقب مفتاح الدرَّاجة البُخاريَّة ، وأدار محرِّكها ..

كان يعلم أنه يتصرَّف كاللُّصوص ، وأنَّه يسْرِق الدَّرَّاجة البخاريَّة ، ولكنه لم يهتَّم بذلك ، فقد كان (عماد) هو كل ما يعنيه ..

ولم يكد يلمح سيارةَ (عبَّاس) وهى تبتعد ، حتى انطلق خلفَهَا فى إصْرار ، وهو يغمغم فى صرامة :

ــ سأنقذك يا (عماد) .. سأنقذك يا صديقى أو نلقى ربَّنا معًا .

* * *

لوَّح العقيد (خيرى) بذراعه فى غضب ، وهو يقول مُخْنَقًا :

ــ إن صديقكما (عصام) هذا سيفسد كل شىء يا (عُلا) .. إنه شابٌّ متهوِّر .

ولم يكد يلمح سيارة (عبَّاس) وهى تبتعد ، حتى انطلق خلفها فى إصرار ، وهو يغمغم فى صرامة :

قالت (عُلا) فى غضب :

ــ ما كنت لأتردَّد فى أن أخْذو حَذْوَهُ يا أبى .

صاح والدها :

ــ هل تظنون أنكم أكثر حماسًا وذكاءً من رجال الشرطة ؟.. لقد أفسد (عصام) هذا بتدخُّله خُطَّتنا كلَّها .

هتفت فى دهشة :

ــ خُطَّتكم ؟!

صاح بها غاضبًا :

ــ نعم .. خُطَّتنا يا (عُلا) .. هل نسيت أنك ابنتى ، وأنَّ (عماد) هو ابنى ، قبل أن يكون شقيقك .. صحيح أننا سمَحْنَا لـ (عبَّاس) بالفرار ، حِرْصًا على حياة (عماد) ، ولكن هذا لا يعنى أننا كُنَّا سنسمح له بالسَّيْطرة على الأمور .. إنه يستقلّ سيَّارة أعطيناها نحن له .. سيَّارة نعرف رقمها ، وكل مواصفاتها .. سيَّارة يمكننا تعقُّب خطّ سيْرِهَا عَبْرَ كلّ نقطة مُرورٍ فى (مصر) .

غمغمت (عُلا) فى جَزَع :

ــ يا إلهى !!

استطرد والدها غاضبًا :

ـ لقد كانت خُطتنا تعتمد على دفعه إلى الاطمئنان ، حينما يظن أننا لا نطارده .. ولكن تدخُّل (عصام) سيقلب موازين الأمور .. ومن يدرى ماذا يمكن أن يفعله (عبّاس) بشقيقك ، إذا ما شعر بمطاردة (عصام) له ؟

شعرت (عُلا) بهَوْل وخُطورة المَوْقف ، واتسعت عيناها فى ذُعْر هائل ، وهى تهتف :

ـ رحماك يا إلهى !!.. رحماك بـ (عماد) و (عصام) ..

* * *

على بعد كيلومتر واحد من مطار القاهرة ، وفى طريق جانبى مُقْفِر ، جلس رجلان داخل سيّارة كبيرة يتململان فى ضَجَر ، وينفثان دُخان سيجارتيهما فى ضيق ، ثم لم يلبث أحدهما أن هتف فى حَنَق :

ـ هلّا أخبرتنى بالله عليك ، ماذا نفعل هنا ؟

هزَّ الثانى كتفيه فى لامبالاة ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ إننا ننفّذ أوامر الزعيم يا (توفيق) .. لقد أمرنا بالبقاء هنا حتى الخامسة تمامًا ، تحسُّبًا لأى خطإ يحدث ، حتى نؤمّن له وسيلة فرار مضمونة .

هتف (توفيق) فى سخط :

ـ ولكن ساعتى تشير إلى إقلاع طائرة الزعيم منذ نصف ساعة يا (فهمى) ، ولست أجد مبرّرًا لبقائنا هنا لثلاث ساعات أخرى .

غمغم (فهمى) فى صرامة :

ـ لقد اعتدت إطاعة أوامر الزعيم ، وهو يدفع بسخاء مقابلَ ذلك ، ولن أُخالِف أوَامرَه هذه المرّة .

أطلق (توفيق) ضحكة تجمع ما بين الغضب والسخرية ، قبل أن يقول :

ـ الزعيم الآن فى طريقه إلى (سويسرا) يا (فهمى) ، ولن يدرى ما إذا كُنّا قد انصرفْنا أمْ لا .. إنه ....

قبل أن يتم عبارته ، توقّفت إلى جواره فجأة سيّارة (عبّاس) ، فاتسعت عينا الرَّجُلَيْن فى دهشة ، فى حين قفز (عبّاس) من سيّارته ، وهو يقول فى توتُّر وحزْم :

ـ أحضرا ذلك الصبىَّ من السيّارة .. ستجدان مفاتيح الأغلال فى إطار النافذة .

أسرع الاثنان لتنفيذ الأمر ، وهتف (فهمى) فى دهشة :

ـ ماذا حدث أيها الزعيم ؟.. هل فشلت الخُطّة ؟

غمغم (عبّاس) فى سخط :

ـــ نعم .. لقد فَشِلت ، وهذا الصبىُ هو وسيلتنا الأخيرة للنَّجاة .

استَسْلَم (عماد) تمامًا لـ (فهمى) و (توفيق) ، وهما ينقلانه إلى السَّيَّارة الأُخرَى ، وجلَس فى هدوءٍ على المقعد الخلفىّ ، إلى جوار (توفيق) فى حين احْتَلَّ (فهمى) مقعد القيادة ، وجلس إلى جواره (عبَّاس) ، الذى قال فى لهجة آمرة متوتِّرة :

ـــ أسْرِعْ بالابتعادِ عن هنا ، فرجال الشرطة لن ينتظروا طويلًا ، قبل أن يبدءُوا مطاردتهم لنا .

انطلق (فهمى) بالسَّيَّارة فى سرعة ، وهو يسأل زعيمه فى قَلَق :

ـــ أأنت واثق أن أحدًا لم يتبعك أيها الزعيم ؟

ابتسم (عبَّاس) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إنهم لن يبدءوا مطاردتى على الفَوْر ، فهم يتصوَّرون أننى سأشُقُّ شوارع (القاهرة) بالسَّيَّارة التى أعطونى إيَّاها ، والتى ستجد كلَّ شرطىّ مرور فى (مصر) يحفظ أرقامها عن ظَهْر قَلْب .

ثم أطلق ضِحْكَة عالِيَةً ، وهو يستطرد :

ـــ هؤلاء الحمْقَى لا يقدِّرون ذَكاء (عَبَّاس متولى) .

وتحوَّلت لهجته إلى الشَّراسة والوَحْشيَّة ، وهو يُرْدِف :

ـــ لقد هزمتهم مرَّةً أُخرَى .. هزمت شرطة (مصر) كلَّهَا ..

* * *

١٠ ــ المطاردة ..

على الرغم من أن (عصام) لا يمتلك خبرة كافية فى المطاردات البوليسية ، إلّا أنه أتقن عمله تمامًا ، كما لو كان خبيرًا مُحَنَّكًا فى هذا المِضْمَار ..

لقد حَرَص تمامًا على أنْ يبتعد عن سيَّارة (عبَّاس) بمسافة كافية ، وأنْ يبْدُو فى هَيئة سائق عادِىّ ، حتى أنه لم يحاول أن يتبعه ، حينما انحرف فى ذلك الطريق الجانبىّ ، بل واصل سيره لبضع عشرات من الأمتار ، قبل أن يتوقَّف متظاهرًا بوجود عطب فى الدَّراجة البُخارية ..

وتملَّكته الدَّهْشة ، وهو يشاهد عملية تبديل السَّيَّارات التى تمت ، وشعر أن (عبَّاس) هذا داهية ، وأنه خصم لا يُستَهانُ به ، إلّا أنه ظل يتظاهر بإصلاح العَطَب الوهْمِىّ ، حتى تجاوزته سيَّارة (عبَّاس) بمسافة كافية ، ثم قفز فوق الدَّرَّاجة البخارية ، وانطلق خلفه ..

ووسط شوارع (القاهرة) المزدحمة ، كان من المستحيل أن ينتبه (عبَّاس) ورِجْلاه إلى مطاردة (عصام) لِسيَّارتهم ..

واستمرت المطاردة ساعةً كاملة ، حتى وصلت السَّيَّارة إلى حىّ (العبَّاسيَّة) ، حيث توقَّفت أمام بناية عاديَّة ، وصوَّب (توفيق) مسدَّسه إلى رأس (عماد) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ سأطلق النار على رأسك أيُّهَا الصبىُّ ، لو تفوَّهت بكلمة واحدة ، قبل أن نصل إلى الشَّقَّة .

شعر (عماد) بخوف حقيقى هذه المرَّة ، فأطاع أوامر الرجال الثلاثة فى استسلام ، وصعِد إلى جوارهم صامتًا ، حتى وصلوا إلى شَقَّةٍ فى الدَّوْرِ الثالث ، فدفعه (توفيق) داخلها فى خشونة ، وهو يقول :

ــ ادخل أيُّها الصبىُّ .

وأغلق الثلاثة باب الشَّقَّة خلْفهم ، وأشار (فهمى) إلى (عماد) ، قائلًا فى توتُّر :

ــ ماذا نفعل بهذا الصبىّ ؟

أجابه (عبَّاس) فى صرامة :

ــ قيِّده فى حجرتى .. سنتركه هنا .

غمغم (توفيق) فى اضطراب :

ــ وأين سنذهب أيُّها الزَّعيم ؟

وصوب (توفيق) مسدَّسه إلى رأس (عماد) ، وهو يقول فى صرام :

ــ سأطلق النار على رأسك أيُّها الصبىُّ ، لو تفوَّهت بكلمة واحدة ..

أجابه (عبَّاس) فى صرامة :

ــ سنختفى بعض الوقت أيها الغبىّ ، حتى تهدأ الأمور ، ثم أُدبِّر خُطَّة أُخرى للفرار .

والتقط سمَّاعة هاتف حديث ، وضغط أزراره فى سرعة ، ثم انتظر لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ أنا الزعيم يا (بهجت) ... نعم .. لقد فشلت خُطَّة الفرار .. اسمعنى جيِّدًا .. أريد منك أن تأتى بسيارتك إلى شقَّة (العبَّاسيَّة) فسنعود معك إلى منزلك ، وسنختفى عندك لوقت طويل ، حتى تهدأ الأمور .. إننا ننتظرك .

لم يكد يضع سماعة الهاتف ، حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فسرى التوتُّر فى أجساد الرجال الثلاثة ، وهتف (توفيق) فى خفوت :

ــ يا إلهى !!.. يبدو أنهم قد نجحوا فى تتبُّعنا إلى هُنا أيُّها الزعيم .

صاح (عبَّاس) فى عصبيَّة :

ــ محال أيها الغبىّ .. لم يكن هناك من يتبعنا .

ثم أشار إلى (فهمى) ، مستطردًا فى صرامة :

ــ اذهب لمعرفة الطارق يا (فهمى) .. قد يكون أحد رجالنا .

سأله (فهمى) فى توتُّر :

ــ وماذا لو أنه لم يكن كذلك ؟

أجابه فى صرامة :

ــ اصرفه .. أو .. اقتله .

ازداد توتُّر (فهمى) ، وهو يتَّجه إلى باب الشُّقَّة ، وحاول أن يلتقط أنفاسه ، ويهدِّئ من رَوْع نفسه ، وهو يفتح الباب .. ولم يكد يفعل حتى رأى (عصام) أمامه ، وسمعه يقول فى هدوء :

ــ مرحبًا أيُّها المجرم .

وقبل أن ينطق (فهمى) بحرف واحد ، أو يأتى بحركة واحدة ، كانت قبضة (عصام) تهوى على فكِّه فى قوَّة ..

* * *

اتَّسعت عينا العقيد (خيرى) فى ذُعْر ، وخفق قلبه فى شِدَّة ، وهو يهتف :

ــ وجدتم السَّيَّارة خالية ؟!.. ماذا تعنى ؟.. هل فقدتم أثر ذلك المجرم ، الذى اختطف ابنى ؟!

ارتبك رجل الشرطة الذى أبلغه خبرَ العُثور على السيَّارة الخالِيَة ، وهو يغمغم :

ــ لقد فتشنا المِنْطَقَة كلَّها يا سيادة العقيد ، ولم نجد أثرًا للمجرم أو ابنك .

انفجرت (عُلا) بالبكاء ، وانْتَقِعَ وجْهُ العقيد (خيرى) ، وهو يغمغم فى لَوْعَة :

ــ يا إلهى !!.. يا إلهى !!

ثم استطرد فى ألم ومَرَارَة :

ــ لقد هُزِمْنَا .. لقد هَزَمَنا ذلك السَّجينُ الوَغْد ..

قال اللواء (مندور) ، الذى انتقل إلى المطار ، ليتابع الموقف عن كَثَب :

ــ إننا لم نُهْزم بعدُ يا (خيرى) ، مادام ذلك الوَغْد لم يُغادِرْ (مصر) .. أُقْسم لك أنَّنا سنعثر عليه قبل مضى ثلاثَة أيَّام .

غمغم العقيد (خيرى) فى مرارة :

ــ وماذا عن ولدى يا سيادة اللواء ؟.. هل سيُبْقِى عليه ذلك المجرم لثلاثة أيام ؟

شعر اللواء (مندور) بحزن هائل يعتصر قلبه ، إلَّا أنه غمغم فى حزم :

ـ مَنْ يَدْرِى يا (خيرى) ؟.. كل شىء ممكن بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

* * *

كان وقع المفاجأة مذهلًا على الرجال الثلاثة ، حينما اقتحم (عصام) المنزل بكل هذا القَدْر من الجُرْأة والعُنْف ..

حتى (عماد) شعر بدهشة بالغة ، حينما رأى (عصام) يفعل ذلك ، دون أن يتصوَّر أن كلَّ هذا العُنْف قد نشأ فى قلب (عصام) من أجله ..

ولقد بدا له (عصام) فى تلك اللحظة كأبطال الأساطير ..

لقد هوَت قبضته على فكّ (فهمى) كالقنبلة ، فألقته إلى الوراء ثلاثة أمتار على الأقل .. وعندما انتزع (توفيق) مسدَّسه ، انقضَّ عليه (عصام) فى جُرْأة ، وركل المسدَّس بحركة سريعة رشيقة ، ثم لكمه فى معدته بقوَّة تأوَّه لها (توفيق) فى دهشة وألم ، قبل أن يخرسه (عصام) بلكمة أخرى على أنفِه ..

ولكن الأمور لم تكتمل على هذا النحو المثالىّ ..

لقد تحرَّك (عبَّاس) فى سرعة وخِفَّة ، وهوَى بِمقْبَض

مسدَّسه على مُؤخرة عُنُق (عصام) ، قبل أن يستديرَ هذا الأخير لمواجهته ..

وشعر (عماد) بالألم والمرارة ، حينما رأى (عصام) يترنَّح ، ويسقط فاقد الوَعْى ، فصرخ فى غضب :

ـ أيها الوَغْد القاتل .

وانقضَّ على (عبَّاس) ..

ولكن (عبَّاس) دفع جسده الصغير بعيدًا فى استِخْفَاف ، ثم هَوَى علَى وجهه بصَفْعَة قاسية قويَّة ، جعلته يرْتَطِمُ بمقعد قريبٍ ، ويسقُطُ متألّمًا ..

ونهض (توفيق) ، وهو يحاول إيقاف نزيف أنفه المحطَّم ، صائحًا فى غَضَب وألَم :

ـ ذلك الحقير حطَّم أنفى .

أجابه (عبَّاس) فى صَرَامة :

ـ لقد كنت تستحقُّ ذلك .

صاح (فهمى) فى حَنَق ، وهو ينهض من سَقْطَتِه ، ويتحسَّسُ فكَّهُ فى ألَم :

ـ بل هذا الفتى يستحقُّ القَتْل .

غمغم (عبَّاس) فى حَزْم :

ـــ ينبغى أن نعلم أوّلًا إذا ماكان قد جاء بصحبة الشرطة ، أم أنها مبادرة فرديّة .

غمغم (فهمى) فى توتُّر :

ـــ وكيف نعرف ذلك ؟

أجابه (عبَّاس) فى صرامة :

ـــ بأن ننتظر النتائج .

هتف (فهمى) فى غضب :

ـــ لن أنتظر .. سأقتله على الفَوْر .

واتسعت عينا (عماد) فى ذُعْر ، حينما رأى (فهمى) يخرج مسدَّسه ، ويصوِّبه إلى رأس (عصام) الفاقد الوَعْى ، فى غضَب وإصْرَار .

★ ★ ★

١١ ـــ الخطأ ..

لم يكن (فهمى) ليتردَّد فى إطلاق النـــار على رأس (عصام) ، لولا أن قبض (عبَّاس) على مِعْصَمِهِ فى قُوَّة ، وهو يقول فى صَرَامة :

ـــ توقَّف أيها الغبىُّ .. إن صوت رصاصتك سيجذب إلينا رجال الشرطة من بعد عدة كيلومترات .

صاح (فهمى) فى غضب :

ـــ سأذبحه إذن كالنَّعاج .

هتف به (عبَّاس) فى صَرَامة :

ـــ قُلْتُ كَفَى .

ثم أردف فى حَزْم :

ـــ إننا لن نرتكِبَ جريمةَ قَتْل بلا مُبرِّر .

صاح (توفيق) فى عصبيَّة :

ـــ ماذا سنفعل بالصبىِّ والشابِّ إذن ؟.. هل سنتركهما ؟

زفر (عبَّاس) فى ضيق ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سنقيّدهما ، ونتركهما هنا ، وبعد أن نصل إلى منزل (بهجت) ، لن تكشف الشرطة مخبأنا أبدًا .

هتف (فهمى) فى اعتراض :

ـــ ولكن أيُّها الزعيم .

صاح به (عبّاس) فى صرامة :

ـــ نفّذ ما أمرْتُك به .

ثم أردف فى حسْم :

ـــ لقد انتصرنا على رجال الشُّرْطة .. وهذا يكْفِى .

* * *

لم يدْرِ (عصام) كم مضى عليه من الوقت ، وهو غائب عن الوعْى ، ولكنه حينما استعاد وعيه كان يشعر بصداع عنيف ، فتأوّه فى ألَم ، وتحسَّس رأسَه لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـــ أين أنا ؟

أتاه صوت (عماد) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ فى منزل (عبّاس) يا أستاذ (عصام) .

فتح (عصام) عينيه عن آخرهما فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجه وجسد (عماد) ، ثم هتف فى استنكار وتعاطف :

ـــ يا إلهى !!.. هل قيّدك هؤلاء المجرمون ؟

أجابه (عماد) مبتسمًا :

ـــ نعم يا أستاذ (عصام) ، ولقد قيّدوك أيضًا .

رفع (عصام) كفيه إلى وجهه ، وهو يقول فى دهشة :

ـــ ولكننى مطلق السَّراح .

أومأ (عماد) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ أعلم ذلك .. لقد قضيت ساعة كاملة ، حتى نجحت فى حلّ وَثاقِك ، بنفس الطريقة التى تعلّمناها أنا و (عُلا) فى فريق الأشْبال .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !!.. إنك رائع يا (عماد) .

ثم أسرع يحلُّ وَثاقه ، فى حين ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ـــ بل أنت الرَّائعُ يا أستاذ (عصام) .. لقد قاتلت هؤلاء المجرمين كالأسد .

تنهّد (عصام) فى أسف ثم سأله فى اهتمام :

ـــ أين هم ؟.. أين ذهبوا ؟

أجابه (عماد) :

ـــ لقد انصرفوا منذ نصف الساعة تقريبًا ، وسيختبئون فى منزل رجل يُدْعَى (بهجت) .

أومأ (عماد) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ أعلم ذلك .. لقد قضيت ساعة كاملة ، حتى نجحت فى حل وثاقك ..

سأله (عصام) فى لَهْفَة :

ــ (بهجت) من ؟ .. وأيْنَ يُقِيم ؟

هزَّ (عماد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ لستُ أدْرِى .. كلُّ ما أعلَمُــه هو أنَّ اسمَــه (بَهْجَت) .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ــ يا لهَذِهِ القضيَّة اللعينة !! كلُّ خُطوة فيها تَحْوِى لُغْزًا جديدًا .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ــ ولكننى أعرف حلَّ اللغــز هذه المرَّة يا أستــاذ (عصام) .

تطلَّع (عصام) إليه فى دَهْشة ، ثم نهض قائلًا :

ــ حسنًا يا (عماد) .. سنتَّصِلُ بالعقيد (خيرى) أوَّلًا ، لِنُطَمْئِنه على سلامتك ، ثم تُخْبِرُنى بحلِّ اللُّغْز .

هتف (عماد) محذِّرًا :

ــ كلَّا يا أستــاذ (عصام) .. لا تَمسَّ هذا الهاتــف بالذَّاتِ .. اتَّصِلْ بوالدى مِنْ أىِّ مكان خارجَ المنزل .

هتف (عصام) فى دَهْشة :

ـــ لماذا ؟

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ـــ لأن هذا الهاتف يحمل حَلَّ الْغزِ ، وهو الذى سيقودنا إلى السَّجينِ الهارِب يا أُستاذ (عصام) .

* * *

احتضنت (عُلا) شقيقها فى فَرْحَة غامرة ، وهى تهْتِف فى سعادة :

ـــ حَمْدًا لله على سلامتِك يا (عماد) .. لقد امتلأت نفسى خوفًا عليك طويلًا .

قبَّل (عماد) وجنتها ، وهو يقول فى سعادة :

ـــ كم تُسْعِدُنى رؤيتُك يا شقيقتى الحبيبة .

ضمهما العقيد (خيرى) إلى صدْرِه فى سعادة وحبٍّ وحَنَان ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !!.. كم تُسْعِدُنى نجاتكما يا صغيرىَّ ، حتى لو نجح (عبَّاس) فى الفرار أكثر من مرَّة .

ابتسم (عماد) وهو يقول فى ثقة :

ـــ ولكنه وقع ياوالدى .. لقد ترك خلْفه خطأً واحدًا ، بعد كلِّ الحِرْص والحذَر ، اللَّذيْنِ يتميَّز بِهِمَا .

سأله والده فى اهتمام :

ـــ أىُّ خطإٍ يا (عماد) ؟.. لقد فتَّشْنا كلَّ رُكْنٍ فى هذه الشَّقَّةِ ، ولم نعثر على دليل واحد يقودُنا إلى مخبئه ، واسم (بهجت) هذا لا يكفى .

أشار (عماد) إلى هاتف (عبَّاس) ، وهو يقول :

ـــ هذا هو الخطأ الذى سيوقع بالسجين الهارب يا والدى .

سأله والده فى دهشة ، وهو يُنَقِّل بصره بينه وبين الهاتف :

ـــ وما الخطأ فى هذا الهاتف يا ولدى ؟

ربَّت (عماد) على الهاتف ، وهو يقول فى حماس :

ـــ الخطأ هو أن (عبَّاس) يستخدم هاتفًا حديثًا يا أبى ، من ذلك النوع المزوَّد بأقراص للأرقام ، بدلًا من القرص التقليدىّ ، وهذا النوع من أجهزة الهاتف الحديثة يتميَّز بخاصية إضافية .. ألا وهى تكرار آخر رقم استخدم خلالَه آليًا ، بالضغط على زِرٍّ واحِدٍ .

هتف العقيد (خيرى) فى انفعال :

ـــ هل تعنى أنَّ آخر رقم اتَّصلَ به (عبَّاس) ، هو رقم (بهجت) هذا ؟

أومأ (عماد) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول مُبْتَسِمًا :

ـ نعم يا أبى .. هذا ما أعْنِيه .. وبالتعاوُنِ مع وِزارَةِ المواصلات السِّلْكِيَّة ، وإدارة الهاتف العمومية ، يكفى أن نضغط زرَّ التكرار الآلىّ ، فنحصل على رقم هاتف (بهجت) هذا ، وعنوانه و ....

أكمل والده فى حماس :

ـ ونلقِى القبض على الجميع .

ثم احتضن ولده هاتفًا فِى حماس :

ـ إننى فخورٌ بك يا وَلَدِى ، وفخورٌ بشقيقتِك أيضًا .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ بلْ قُلْ إنك فخورٌ بفريق (ع × ٢) يا سيادةِ العقيد ..

* * *

١٢ ـ الخـتام ..

امتلأت صحف الصباح التالى بأخبار حادث المطار ، ونجاح رجال الشُّرطة فى إلقاء القبض على (عبَّاس) ورجاله ، بعد محاصرة الڤيلَّا التى كانوا يختبئون فيها فى (مدينة نصر) ..

وفى ذلك الصباح جلس (عصام) خلف مكتبه ، يراجع كل ما كُتب عن الموضوع ، حتى اقترب منه رئيسه ، وربَّت على كتفه قائلًا :

ـ أهنئك يا (عصام) .. لقد قمت بعمل مُبْهِر كالعادة .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ لماذا لم يُنشر تحقيقى عن الحادث ؟

تردَّد رئيسه لحظات ، ثم ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ إنه يحتاج إلى بعض التعديل .

هتف (عصام) فى استنكار :

ـ التعديل ؟! .. لم يحدث يومًا أن أُدْخِلتْ أيَّة تعديلات أو تصحيحات على تحقيقاتى و ....

قاطعه رئيسه فى قلق :

ـ مهْلًا يا (عصام) .. كان من الضرورىّ أن نحذف اسمى (عماد) و (غُلا) أوّلًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ اسمع يا سيِّدى .. أعْلَم أنكم تنكرون وجود (عماد) و (غُلا) ، ولكننى أُصِرُّ هذه المرّة علَى ....

عاد رئيس قسم الحوادث يقاطعه فى همْس :

ـ إنه قرار والدهما العقيد (خيرى) يا (عصام) .

حدّق (عصام) فى وجهه مَشْدُوهًا ، قبل أن يغمغم فى دهشة :

ـ العقيد (خيرى) ؟! .. إذن فأنت ....

مرّة ثالثة قاطعه رئيسه ، وهو يرنّت على كتفه قائلًا :

ـ نعم يا (عصام) .. لقد أدهشنى ذلك كثيرًا ، ولكننى أعْلَمُ الآن حقيقة (عماد) و (غُلا) .

زفر (عصام) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ حَمْدًا لله .. لقد حدث هذا أخيرًا .

مال رئيسه نحوه وهو يهمس فى حزم :

ـ ولكننا سنحتفِظ بذلك سِرًّا .

سأله (عصام) فى حِدّة :

ـ لماذا ؟!

تنهّد رئيسه ، قبل أن يقول :

ـ إنها رغبة والدهما يا (عصام) .. إنه يريد منهما أن يُولِيَا اهتمامهما لدراستهما بالدرجة الأولى .. ثم إنه يخشى عليهما من انتقام المجرمين ، الذين وقعوا فى يد العدالة بسببهما .

وابتسم ، وهو يستَطْرِدُ فى حَنَان .

ـ وستظلُّ تحتفظ بالثَّناءِ كلّه وحدَك يا ولَدِى .. على الرَّغْم منك .

غمغم (عصام) فى حُزْن :

ـ هذا ليْسَ عدْلًا .

ربّت رئيسُه على كتفه مرّة أُخرى ، وهو يقول :

ـ صدِّقْنى يا وَلَدِى .. هذا أفضلُ لك ، ولهُما .

ثم نهض ، وابتسم ، وهو يستَطْرِدُ فى اعْتِزَازٍ :

ـ ويومًا مّا .. حينما يَحِينُ الوقتُ المناسب ، ستعلم (مصر) كلُّها من يختفى حقًّا تحت توقيع (ع×٢) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

مغامرات ع × ٢ عماد وغلا

سلسلة الفازبولية مثيرة للناشئين تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية السجين الهارب

- تداخل فى خطوط الهاتف يرسل قضية جديدة إلى فريق (ع × ٢) .. قضية محاولة سجين للفرار من السجن .. منَ السجين ؟.. وكيف يفرّ ؟.. ومتى ؟
- تُرى .. هل ينجح فريق (ع × ٢) فى حل لُغز هذه القضية الجديدة ؟
- اقرإ التفاصيل ، وحاول أن تسبق (عماد) و (غلا) إلى حلّ اللُغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ... ت ٩٠٥٥٥٥

الثمن فى مصر ٥ قروش

وما يعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

(قضية رجل الساعة)